الحنين للوطن في شعر الجواهري:دراسة فنية

Longing to the Homeland in AL-Jawahiry Poetry

An Artistic Study

إعداد الطالبة

صيتة علي عواد الحربي

الرقم الجامعي :(401220138)

إشراف الأستاذ الدكتور

بسّام موسى قطّوس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

أيار 2015

التفويض

أنا الطالبة صيتة علي عواد الحربي، أفوّض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات أو المنظمات أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم : صيتة علي عواد الحربي.

التاريخ ٢٦/ 5 /2015 م.

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها "الحنين للوطن في شعر الجواهري: دراسة فنية"،

وأجيزت بتاريخ : 2015/5/26.

<u>أعضاء لجنة المناقشة:</u> **<u>التوقيع</u>**

1-الأستاذ الدكتور: بسام قطوس مشرفاً ....

2-الأستاذ الدكتور:جمانة السالم عضواً، ورئيساً. ....

3-الأستاذ الدكتور:إبراهيم الكوفحي عضواً خارجياً. ....

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الكريم سيدنا محمد وعلى أهله أجمعين.

الحمد لله الذي أتم علي نعمته كي أقدم رسالتي هذه.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور بسام قطوس الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا العمل العلمي الذي أرجو من الله أن يكون في ميزان حسناته.

وكذلك أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل جميعاً في كلية الآداب والعلوم بجامعة الشرق الأوسط، كما أشكر لجنة المناقشة على تفضلها بقبول مناقشتي في هذه الرسالة، كما أشكر كل من وقف معي وساندني طيلة فترة دراستي.

الباحثة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من وطّن حب العلم والتحدي في نفسي وكان نعم القدوة والسند في حياتي

أبي

إلى الغالية التي لم تألُ جهداً فـي تربيتي وتوجيهي فعلمتني الصمود مهما تبدلت الظروف .. من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه

أمي الحنونة.

وإلى رفيق دربي وسندي وملهمي زوجي رعاه الله

محمد

وإلى أبنائي فلذات كبدي وقرّة عيني حماهم الله وبارك لي فيهم

عون وريان

وإلى أختي التي لا تُنسى فضائلها وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ... وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها "

أم يزيد"

وإلى جميع إخوتي وأخواتي أدامهم الله

وإلى كل من مدّ لي يد العون والمساعده لإنجاز عملي.

الباحثة

قائمة المحتويات

"الحنين للوطن في شعر الجواهري : دراسة فنية"

إعداد

صيتة علي عواد الحربي

إشراف

الأستاذ الدكتور: بسّام قطّوس

المُلخَّص

تطمح هذه الدراسة إلى إبراز الأسباب التي أدت إلى ظهور شعر الحنين للوطن في شعر الجواهري, كما تسعى إلى تجلية الموضوعات التي تناولها الجواهري في حنينه إلى الوطن, وإلقاء الضوء على الخصائص الفنية والجمالية في ذلك الشعر.

وقد فرضت طبيعة المادة المدروسة تقسيم البحث إلى أربعة فصول.

اشتمل الفصل الأول على مقدمة الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، ومنهجية الدراسة، وأهميتها، وحدودها، ومصطلحاتها.

أما الفصل الثاني فقد فتناول الإطار النظري والدراسات السابقة- متناول سيرة الجواهري وحياته.

وذهب الفصل الثالث لدراسة مضمون الحنين في شعر الجواهري مشتملاً على معاناة الجواهري مع المنفى، وموضوعات الحنين في شعر الجواهري.

أما الفصل الرابع فقد تم تخصيصه لدراسة الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري دراسة فنية، مشتملاً على دراسة اللغة، وبنية القصيدة، وبلاغتها، والظواهر اللغُوية والأسلوبية في شعره ختمت الباحثة بنتائج الدراسة، وتوصياتها، ومراجع البحث ومصادره.

وترجو الباحثة من خلال هذه الدراسة أن تكون قد أجابت عن الأسئلة التي تضمنتها خطة البحث، محققة الأهداف المرجوة، وأنْ يفتح هذا البحث آفاقاً جديدة حول الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري، تكون بذرة لدراسات وبحوث أخرى.

الكلمات المفتاحية:

الجواهري، الحنين، شعر، الوطن

Longing to the Homeland in AL-Jawahiry Poetry

An Artistic Study

By

Seatah Ali Al Harbi

Supervisor

Dr. BASSAM MUSA QUTTOUS

ABSTRACT

The first chapter includes an introduction of the research, its problem, aims, the study meth odology, its importance, boards and expressions.

The second chapter talks about the theorelical fram work and previons studies, such as talking about Al – Jawahiri biograply.

The third chapter implicate astudy the meaning of nostaligia in his poety. Including his suffering forbeing in extle and the home sickness themes.

The forth chapter had been customized to study the home sickness in Al- Jawahiri poetry an artistic study which include studying the language.

The poem structure, the eloquence, and the ling uistic. Phenomena, and techniques.

Finally, I conclude with the results of the research, recommend dalions and the references and resourees.

I hope tht I have answered through this study plan the questions which the sunreylincluded, and I have achived the aimed targets.

I also hope that this resereh will open anew prospects about home sidcness poetny in Al – Jawhiri poetry which will be the beginning other studies and survies.

Key words:

Al – Jawahiry, Longing, Poetry, Homeland.

الفصل الأول

المقدمة:

الحنين للوطن قديم في الشعر العربي بعامة، وفي الشعر المدروس منه بخاصة،حتى ليكاد يشكل ظاهرة تسترعي أنظار النقاد والدارسين على حد سواء. وقد تجلت ظاهرة الحنين للوطن في شعر محمد مهدي الجواهري(1899-1997)، حتى أصبحت جزءاً من ذاكرته، وديدنه في ذلك حزم حقائبه مودعاً وطنه العراق كلما ضاقت به السبل. لكن الوطن بسهوله وسفوحه وأنهاره وغيومه وشمسه، كان يتمدد في داخل الجواهري فيعيده خلقاً شعرياً مدهشاً، يسطر فيه ملامح الانتماء إلى كل ما في وطنه.

وإذا كانت الرؤية الإجمالية لشعر الحنين الذي سطره الجواهري تلتقي مع مألوف الرؤية الفردية التي نجدها في قصائد الحنين في الشعر العربي، إلا أن قصائده تتميز منهم باحتفائها الشديد بهموم الجماعة، دون التفريط بلغته الرصينة، وصوره البديعة التي شكلت حلقة وصل بين تراث العمالقة، وقمتهم المتنبي، وشعر الحداثة الكلاسيكية[1].

لقد شكل فقد المكان / الوطن، سواء أكان إجباراً أم اختياراً، معاناة نفسية

---

(1) انظر: برزخ, حسن ناظم، الجواهري 1-2، جريدة العالم العراقية، 22 نيسان (إبريل)، 2014، السنة الرابعة، العدد (1013),ص1.

من نوع خاص لشاعر ثقف مرهف متمكن مثل الجواهري،، ارتبط فكرياً وثقافياً بأمته، فتفجرت في نفسه بواعث الحنين الممزوج بالألم حيناً والمسكون بالتمرد أحياناً، ليدبج صورة وطنه تعلقاً بالمكان:مدناً وحواضر، وسفوحاً وأنهاراً، ونخلاً وشطآناً، وملاعب طفولة ومدارج شباب. وقد خيل إليه في لحظة أنه قادر على العودة لوطنه ليريح ركابه(1)، فقرر العودة في أواخر الستينيات، ولكنه سرعان ما أدرك أن المسألة لا تخصه وحده بقدر ما تعم جميع العراقيين، وألا راحة ولا استقراراً في العراق، فحزم حقائبه ليعود من حيث أتى. ولكنه ظل يعزف على قيثارة الحنين بلغة رصينة، وصور مكتنزة، وإيقاع طاغ، يعكس الصدق الموضوعي والفني في ردود أفعاله في الحياة والسياسة على حد سواء.

من هنا، تسعى هذه الدراسة إلى إبراز جانبين مهمين من شعر الحنين لدى الجواهري:

أولهما: جانب موضوعي، يعنى بدراسة موضوعات الحنين لديه، كالحنين للطبيعة، ومرابع الطفولة، والديار، والأماكن الدينية كالنجف، والثقافية كالبصرة، وسواها؛ مما يكشف مظاهر الانتماء الذي ظهر على شكل تعلق بوطنه العراق،

---

(1) عبّر عن ذلك بقصيدته الشهيرة، ومطلعها:

أرح ركابــك مـــن أيْــن ومـــن عثـــــــــر   كفـــاك جـــيلان محمـــولاً علـــى خطـــــــر

ستقف عليه الدراسة، وثانيهما: جانب فني، يعنى بدراسة أبرز خصائصه الفنية الماثلة في لغته، وأسلوبه، وموسيقاه، وسواها من خصائص فنية ستجليها الدراسة. وهذا أمر يستحق البحث والدرس.

وقد تخيّرت الدراسة منهجاً نقدياً يجمع بين الوصف لموضوعات الحنين المدروسة، والتحليل الفني للنماذج الشعرية الدالة على تحقق المستوى الفني الرفيع. وتؤمل الدراسة أن تبرز مكانة الجواهري الشعرية وتميزه في شعر الحنين للوطن، لكي تتضح روح الجواهري الرافضة، والثائرة، والعنيدة، والمسكونة بالكبرياء، وانعكاس ذلك كله في قصائد الحنين لديه.

كما تأمل الدراسة أن تضيف مرجعاً متخصصاً في شعر الحنين للوطن، ينضاف للعديد من الدراسات التي أغنت المكتبة العربية حول شعر الجواهري.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تحاول الباحثة الإجابة عن الأسئلة التالية :

1- ما أسباب بروز شعر الحنين للوطن في شعر الجواهري؟

2- ما أهم موضوعات شعر الحنين للوطن عند الجواهري؟

3- ما الخصائص الفنية في شعر الحنين للوطن عند الجواهري؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1-إضاءة جانب مهم من شعر الحنين للوطن في شعر الجواهري.

2-التعرف على موضوعات شعر الحنين للوطن عند الجواهري.

3- تبيّن الخصائص الفنية والجمالية في شعر الحنين للوطن.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في النواحي التالية :

تنبع أهمية هذه الدراسة من مكانة الجواهري الشعرية، وما يميز شعره من قيم فنية ولغوية أصيلة. ويؤمل أن تضيف مرجعاً جديداً للمكتبة العربية حول هذا

الشاعر يتعلق بشعر الحنين للوطن.

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة الحنين للوطن في شعر الجواهري من خلال ديوان الشاعر، وتركز على الشعر الذي قاله في الحنين للوطن.

المصطلحات:

الحنين:

لغةً:

الحَنينُ: الشَوقُ وتَوَقانُ النفس. تقول منه: حَنَّ إليه يَحِنُّ حَنيناً فهو حانٌّ. والحَنانُ: الرحمةُ. يقال منه: حَنَّ عليه يَحِنُّ حَناناً. ومنه قوله تعالى: "وحَناناً من لَدُنَّا". والحَنَّانُ بالتشديد: ذو الرحمة. ويقال أيضاً: طريقٌ حَنَّانٌ، أي واضحٌ. وقوسٌ حَنَّانَةٌ: تَحِنُّ عند الإنباض. وقال: وفي مَنْكِبَيْ حَنّانَةٍ عودُ[1].

عرّف عطوات(1999) "الحنين": (الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم، وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيداً عن وطنه،

---

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 393 .هـ)، صحاح العربية في اللغة.

فالحنين يرضي شغف النفس، ويشبع حب الناس للأوطان)[1].

أما التعريف الإجرائي للحنين فهو: تعبير عن مشاعر الحب والشوق وما يجسده من معاناة نفسية، بسبب البعد عن الوطن أو فقدانه.

2. الدراسة الفنية:

عرّف عبدالله (1990) الدراسة الفنية: بأنها (اتجاه فني لا يمكن للاتجاهات الأخرى في النص أن تستغني عنه. ولا يمكن أن يدرس الأدب بدون الاتجاه الفني وعندما يغفل الناقد عن الاتجاه الفني فإنه يتحول على يديه إلى مجرد وثيقة اجتماعية أو نفسية أو لغوية أو فكرية عن الأدب والمجتمع فالدراسة الفنية مهمه لإعطاء الأسس الفنية للنص والأدب)[2].

ويقول كورك، جاكوب (1989):"إن إمكانيات التعبير اللغوي للكلمة أعظم بكثير مما تبدو عليه،وأنها وإن لم تكن غير محدودة،فهي على الأقل لا تنضب".[3]

أما التعريف الإجرائي للدراسة الفنية فهي: دراسة الخصاص الفنية للشعر المدروس، من حيث لغته، وصوره وموسيقاه، ومن ثم تقييمها على وفق عناصرها

---

(1) عطوات، محمد عبد عبدالله (1999) ، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، بيروت، ط2، ص224.

(2) عبدالله، محمد حسن (1990)، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص17.

(3) جاكوب، كورك (1989) اللغة في الأدب الحديث الحداثة والتجريب، ترجمة ليون عمانوئيل، دار المأمون، بغداد، ص112.

الأدبية والتعبيرية.

منهجية الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المقترن بالدراسة الفنية.

الطريقة والإجراءات:

تقع هذه الدراسة في أربعة فصول:

الفصل الأول: مشكلة الدراسة وأهمية الموضوع.

الفصل الثاني :الإطار النظري والدراسات السابقة .

الفصل الثالث: الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري, دراسة مضمونية.

الفصل الرابع: الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري, دراسة فنية.

الخاتمة (وتتضمن عرض النتائج والتوصيات).

المصادر والمراجع.

الفصـــــل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

مقدمة

مما لا شك فيه أن اللغة هي المادة الأولى لأي شاعر، وتمكنه من ألفاظها ومعانيها هو بمثابة المفتاح الذي يفتح به أبواب الإبداع الفني، ولعل تلك الحقيقة قد انعكست فـــي التـــراث العربي النقدي الذي عني بقضية اللغة في الشعر والنثر على حد سواء، وقد بينت الكثير مـــن الدراسات وجود اختلاف فارق بين اللغة المستخدمة في الشعر وتلك المستخدمة في النثر.

فللشعر لغته الخاصة التي يقضي الشاعر عمره ويفني نفسه من أجل تحديدها والإبداع فيها، وهذا ما أكده أيضاً أحمد الطاهر مكي حينما قال:" إن للشعر لغته على الـــدوام، موحيـــة ومتوترة وقادرة على الإثارة، ولا تنبثق عن مشكلات الحياة اليومية، وإنما تصدر عن وجدان عميق، والتعبير عن الوجدان يستلزم ألفاظاً ذات دلالات نفسية وشعورية خاصة قادرة علـــى تصوير إحساس الشاعر، وعلى التأثير في نفس القارئ لتحدث عنده إحساساً مماثلاً، وتنتقـــل إليه تجربة الشاعر كاملة"[(1)].

وقد أجمع معظم النقاد والدارسين على وجود أسس وقيم فنية لا بد من توافرها في لغة الشعر، وفي ذلك يذكر الدكتور عبد الفتاح عثمان أن:" لغة الشـــعر تجـــنح إلـــى الأســـلوب

---

(1) مكي, أحمد الطاهر. (د.ت). الشعر العربي المعاصر, روائعه, ومدخل لقراءته. القاهرة: دار المعارف. ص 76.

الاستعاري الذي يبتعد عن البث المباشر"[1]، ويضيف:" إن القيمة الثانية التي تتميز بهـا لغـة الشعر هي الغموض الناشئ عن تكثيف المعنى وتركيزه، فهي مظللة بالمعنى ولا تحدده، تشي به ولا تكشف عنه، ترمز إليه ولا تمسك به، إنها لغة حافلة بالمعاني التي تشع فـي وجـدان المتلقي، وتهبه فرصة التأمل والاختيار والتنقل بين الدلالات الثرية التي يمتلـئ بهـا اللفـظ القليل"[2].

فإذا كانت تلك هي السمات الرئيسة للغة الشعر، وإذا كان الحال في الإبداع الشـعري في الشعر كما وصفه الدكتور شوقي ضيف:" ليس في شكله الخارجي من وزن وقافية وأوزان خاصة، أو موضوعات خاصة، وإنما هو التجربة الروحية التي تمر بنفس الشاعر، ولا بـأس أن تكتب هذه التجربة في لغتها الحقيقية أو قل في لغة بسيطة كتلك التي يتفـاهم بهـا أفـراد الشعب"[3], وفي مجال الإبداع فقد فرق دوسوسير بين "اللغة والكلام", فإذا كانت اللغـة عنـد دوسوسير نظاماً أو مجموعة قواعد يتعلمها أفراد مجتمع لغوي معين, بحيث تستقر في أذهانهم بشكل تدريجي, وبمعنى آخر هي تلك القواعد الصوتية والتركيبية النحوية والصرفية والدلالية المعجمية, إذ تعدّ هذه القواعد انضباطاً للغة الفرد صوتياً ونحوياً وصرفياً ودلالياً, فإن الكـلام هو التَّحقُّق الفعلي لتلك القواعد من خلال صياغتها وتوظيفها وتطبيقها واقعاً, فاللغـة شـيء مجرد ومستقل عكس الكلام الذي يبنى اعتماداً على المتكلم وذكائه, فكل فرد يمتلك هذه القدرة سواء أكان عربياً أم غير عربي, فالكلام يأتي في المرتبة الثانية بعـد اللغـة لأن المـتكلم لا

---

(1) عثمان, عبدالفتاح. (1988). نظرية الشعر في النقد العربي القديم. بيروت: مكتبة الشباب. ص 118- ص119.

(2) عثمان, عبد الفتاح . نظرية الشعر في النقد العربي القديم, ص118-ص119.

(3) ضيف, شوقي (1979). دراسات في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار المعارف. ط7. ص197- ص198.

يستطيع استخدام اللغة وتوظيفها دون تعلم قواعدها[1].

وهذا بعضٌ مما استند إليه كثيرٌ من النقاد في استلهامهم ذلك التفريق بين "اللغة" بوصفها المادّة الخام اللازمة للكاتب, و"الكلام" الذي هو التحقق الفعلي لتلك القواعد, وذهابهم مَذْهباً أبعد في دراسة "الكلام" بمعناه الإبداعي, وعدم تقيّده بحدود المعاني المعجمية, وترسيخهم لمبدأ القراءة السيميائية, كما فعل الدكتور بسام قطوس في عديد دراساته النقدية[2].

الجواهري... سيرته وشخصيته الشعرية

ولد.. محمد مهدي الجواهري في بداية القرن العشرين, وتحديداً كما تناقلت أغلب الكتب التاريخية في عام 1900 للميلاد في النجف. من أسرة متدينة، وقد كان الجواهري ابن النجف الأشرف من سلالة أسرة متقدمة عمقاً بالغاً في التاريخ الديني والسياسي والاجتماعي للنجف, حيث خاض غمار أحداث قرن صعب ومعقد وحافل بالأحداث.

بدأ بالقريض في سن مبكرة, واشتهر وملك الدنيا وهو في مقتبل العمر, وصفوه بكثير من الأوصاف منها نابغة الشعر العربي, وشاعر العرب الأكبر, وأمير الشعراء بعد شوقي, ووارث الشعر العربي وحافظه, ومتنبي العصر، ورب الشعر, انتهاءً بألقاب وأوسمة أدبية قلما يحصل عليها شعراء العرب[3].

---

(1) دي سوسور, فردينان (1985). علم اللغة العام, ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز, دار آفاق عربية, بغداد, ط3,ص.

(2) انظر : بسام قطوس, (1998). استراتيجيات القراءة. التأصيل والإجراء النقدي, إربد، دار الكندي, ص 202. كذلك انظر كتابه سيمياء العنوان, (2002), طبع بدعم وزارة الثقافة بمناسبة عمان عاصمة للثقافة العربية, ص15.

(3) العلوي, هادي وآخرون. (1969). الجواهري, دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين. النجف: مطبعة النعمان. ص19.

كانت النجف مسقط رأسه, والنجف مركز دينيّ وأدبي, وهي فيهما نادرة من النوادر وأعجوبة من الأعاجيب, فقد كان أهلها يهتمون بقول الشعر وسماعه , فالشعر عندهم كالهواء الذي يتنفسه المرء.

إن الشعر في النجف حياة, لأن النجف بيئة شعرية خصبة, وهو لدى أبنائها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً, والشعر بالنسبة للنجفيين علامة فارقة تميزهم عن غيرهم من أبناء البلدان الأخرى.

والشعر النجفي تتسع مجالاته لتشمل القضايا العامة والخاصة, والمناسبات الإخوانية, فبالشعر يناغي الأب وليده ويلاعبه, وبالشعر يداعب الصديق صديقه ويعاتبه, وبالشعر يطلب حاجته وبالشعر يجاوبه, وبالشعر يهنيه وبالشعر يعزيه[1].

أما عن أسرة الجواهري, فالأسرة عريقة في الدين والأدب والشعر , فقد تحدّر الجواهري من عائلة علمية عريقة في النجف الأشرف, فقد كان جده الأعلى الشيخ محمد حسن أحد أعلام الفقه في عصره, وقد كان في القرن الثالث عشر مرجعاً دينياً أعلى، وهو صاحب الكتاب المشهور (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقق الحلي) الذي اقتبست الأسرة لقبها منه[2].

كان والده رجل دين أيضاً، مما أعطى أسرة الجواهري قدراً كبيراً من الوجاهة في مجتمع النجف خاصة والعراق عامة. وإنه يحب ابنه حباً جماً وقد عاش هذا الابن في كنف أم رائعة ذات عقل في التصرف, ومزاج في التحمل, ومكانة في الأسرة. فقد كان أبوه يحب له

---

(1) محمد جواد الغبّان. (2006). الجواهري فارس حلبة الأدب, ص26-ص27.

(2) بيضون, حيدر توفيق. (1993). محمد مهدي الجواهري شاعر العراق الأكبر, دار الكتب العلمية, بيروت, ص66.

أن يكون على غير ما يكون عليه الأطفال الآخرون, لأن فيه من الميزات ما يميزه ويدل على نباهة خاصة. لهذا كان الوالد يطلب من الجواهري أن يحفظ في كل يوم خطبة من نهج البلاغة, وقطعة من أمالي القالي, وقصيدة من ديوان المتنبّي, ومادة من مواد كتاب سليم صادر في الجغرافيا.

لقد كان مهدي طفلاً, ولا بد من أن يخطئ أو أن يقصر بواجب, فما كان من الوالد إلا أن يهيج ويصيح والولد ساكت, وقد كان والده يتفنن في العقاب. وكان مما ابتكره والده عقاباً له أن يصحبه خارجاً من البيت, يسير ويسير في طول النجف وعرضها والولد ملازم له, وكان قصده من ذلك إشعاره بالذنب عن طريق معاقبته بالمشي وإتعابه, حتى إذا تعب الوالد ولم يتعب الولد عادا إلى البيت بعد أن استغرقت العقوبة ساعاتٍ طويلةً علَّمت الولد الصبر وكَظْم الغيظِ ولم تعلمه الخنوع مطلقاً(1).

كان يخضع للعقاب, وكان يخضع لما يطلب منه في القراءة والحفظ, وكان يصحب الوالد في المجالس, حتى عُرف بالحفظ واشتُهِر, فما عاد مجهولاً لأحد: ذاك مهدي, جاء مهدي, مهدي قرأ, مهدي حفظ....وذاع صيته...وتسابق الناس إلى إحراجه مرة بدافع الإعجاب, ومرة بدافع التعجيز وما هم بمستطيعين.

وصار الولد الغريب في الحفظ في بلد الحفظ مثلاً وأعجوبة. وتبارى الناس في امتحانه, والوالد فخور لا نهاية لفخره فإنه يرى لولده هذا مستقبلاً ليس للآخرين, ويتأكد له كل يوم أن في هذا الولد شيئاً ليس فيمن سواه. إليه ظاهر الحال...ليكن أديباً, ولكن, ليكن قبل ذلك

---

(1) ديوان الجواهري (1982) المجلد الأول, دار العودة, بيروت, ط3, ص16 – ص34.

وبعده رجل دين وفقه وأصول ولتغلب فيه الروحانية على الأدبية[1].

يقول الجواهري:"كان أبي يمارس عليَّ ضغطاً مستمراً لحفظ علوم الدين, وأتظاهر مؤمناً بتنفيذ الأمر, وما إنْ يخرج هو وأخي الأكبر حتى أهرول إلى دواوين الشعراء"[2].

ويردف الجواهري:" بدأت محاولاتي لكتابة الشعر, وأنا في الرابعة عشرة.لكنـــي لـــم أستطع أن أبوح بشعري.لأني كنت غير متأكد منه.ففي النجف يتمتع الشعر بحب أبناء المدينة وكلهم يعرفون جيده من رديئه"[3].

بدأ الجواهري خطواته الأولى نحو عالمه الشعري بحذر وترقب شديدين، قال: "لقــد كنت أخطف خلسة من والدي عيون الشعر من كل الشعراء من تقدم منهم ومن تأخر"[4].

ولم يقتصر الشاعر في مطالعته على ما يقع تحت يديه من كتب ودواوين، بل واصل بحثه عنها بنهم شديد" لقد كنت أستنسخ الدواوين والكتب الأدبية التي يصعب عليّ اقتناؤها أو الاحتفاظ بها لفترة طويلة"[5].

وقد ضاع الشعر الذي نظمه في البدايات ولم يعد يحفظه أو يحتفظ به أحد. وربما كان مرد ذلك إلى أنه كان اعتيادياً أو ضعيفاً، لم تكن عليه من دلائل النبوغ ما يفرض بـــه نفســـه على الحافظين ويجتذب المعجبين.

---

(1) حسن, ديب علي. (2004).الجواهري رحلة الشعر والحياة,تقديم:سليمان سليم البواب,مؤسسة المنارة, بيروت, ص ص 55 -68.

(2) الغبّان. محمد جواد. (2006). الجواهري فارس حلبة الأدب,ص19.

(3) مجلتي,بغداد(1972),العدد29,1 نيسان , نقلاً عن "ميكرفون مجلتي يحرره الجواهري".

(4) ذكرياتي، ج1، ف 1، دار الرافدين، دمشق، ص 68

(5) ذكرياتي، ج1، ف، ص 68

ثم إنه لم ينشره في مكان من جريدة أو مجلة....لأن وسائل النشر لم تكـــن لتتـــوافر بسهولة في العراق.

توفي والده في عام 1917م، ومرت أيام الحزن فعاد الولد إلى درسه, فتقدم فيه وزاد على مواده السابقة مواد جديدة, فقد أخذ يحس الشاب بحريته.لقد آن الأوان إلـــى أن تعـــرب الجرأة عن نفسها منطلقة من كل قيد, وحان للبركان أن يثور....أو أن يتحفز في الأقل. فـــزاد الشاب من قراءة الجديد من شعر وغير شعر مما هو للعرب أو مترجم عن الغرب, وزاد من إعلان إعجابُ به والنقاش مع الآخرين من أجله, دون أن يترك النظم لحظة[1].

وإذ يتنادى العراقيون إلى الثورة على الإنكليز, وتكون النجف مركزاً للثورة وطليعـــة للمنادين, يجد المهدي طريقاً ما إليها....وكان طبيعياً جداً أن يكون معها في حديثه ومجلســـه وإلى جوار أصدقائه.

ولقد انصرم عام 1920م أو كاد...لتكون بقايا الثورة العراقية, أول موضوعات النشر كأنه لا يريد أن يخرج عن النجف وعلى النجف بما ترسخ فيها من مفهوم الشعر وموضوعاته حتى كاد يأسن. أجل...ليرسل بأحدث ما نظم فنال رضاه ورضى الآخرين..إلى بغداد, جريدة الاستقلال... وها هو ذا الأُسبوع الأخير من كانون الثاني 1921 يطلع على النـــاس وفيـــه للجواهري قصيدتان[2].

وهو خلال ذلك يعاني شظف العيش وضيق اليد. وقد انقطعت المعونة التي كان يقدمها البديري, ولم يبق في الدار شيء يستحق البيع, وكان ينفد ما حصل عليه لقاء بيع حصة مـــن

(1) ديوان الجواهري(1982)المجلد الأول, ط3، ص43- ص44.

(2) ديوان الجواهري (1982) المجلد الأول، ط3، ص 9.

دار, ولكن الشعر يوسع عليه ما ضاق من نطاق الدنيا[1].

ترك الجواهري النجف عام 1927م ليعين مدرساً في المدارس الثانوية, ولكنه فوجىء بتعيينه معلماً على الملاك الإبتدائي في الكاظمية. وفي العام نفسه أصدر ساطع الحصري مدير المعارف العام آنذاك أمراً بإنهاء خدمته بسبب نشره قصيدة (بريد الغربة) التي استوحاها من طبيعة ايران في أثناء سفرته الثانيه لها, وقد أُتخِذَ بيت ورد فيها ذريعة للإيقاع به[2].

لقد أحدث هذا الأمر ضجة , ولما اتسعت الضجة رأى البلاط أن يضع لها حداً, فعينه بدائرة التشريفات فيه.

وفي عام 1924م أعد للنشر مجموعة من شعره باسم "خواطر الشعر في الحب والوطن والربيع", ثم أضاف إليها ما استجد له من شعر، وبدأ طبعها سنة 1927م باسم" ديوان محمد مهدي الجواهري" وعندما أنجز الطبع سنة 1928م صدر بغلاف عليه اسم "ديوان بين الشعور والعاطفة" لصاحبه محمد مهدي الجواهري[3].

ثم استقال من البلاط سنة 1930م ليصدر جريدته (الفرات) التي حملت اسم ابنه, وقد صدر منها عشرون عدداً, ثم ألغت الحكومة امتيازها فآلمه ذلك كثيراً, فبقي دون عمل إلى أن عين معلماً في أواخر سنة 1931م في مدرسة المأمونية، ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيساً

---

(1) شعبان عبد الحسين (1997). الجواهري جدل الشعر والحياة، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط3، ص 13.

(2) ديوان الجواهري، المرجع السابق، ص 5

(3) حسن، ديب، علي، (2004). الجواهري رحلة الشعر والحياة، تقديم: سليمان سليم البواب، مؤسسة المنارة، بيروت، ص 55 – ص 68.

لديوان التحرير[1].

في هذه الأثناء زار العراق الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود, فنظم قصيدة يمدح فيها آل سعود لمحض التشفي بالملك فيصل, وأوصلها إلى الأمير السعودي, وطلب إليه نشرها في الجريدة السعودية (أم القرى), ونشرت القصيدة, فأثار ذلك الملك فيصلاً, وكان أن نقل الشاعر إلى ثانوية البصرة, ثم لم يمض فيها بضعة أشهر ونقل إلى الحلة, ثم أعيد إلى ثانوية البصرة مرة أخرى, ثم نقل إلى ثانوية النجف, ثم إلى دار المعلمين الريفية في الرستمية, وهنا نشر قصيدة عنوانها :"**حالنا اليوم أو في سبيل الحكم**" فضح فيها نظام الحكم القائم, وأبان عن مفاسده.فأحيل على لجنة (الانضباط) العام فأبدل المجلس الإنذار بعقوبة الفصل, ولم يرغب في العودة إلى الوظيفة, إلا أن بعض المسؤولين في الوزارة أقنعه بالعودة فاختار الناصرية, ولكنه استقال من الوظيفة بعد أشهر ليفرغ للصحافة[2].

غير أن هذه المهنة فرضت عليه التزامات قيدت نفسه وروحه الشعرية الثائرة، فكان العمل بها بمثابة اختيار صعب أصاب الجواهري بالكثير من المشقات والمتاعب, ودفع ثمنه غالياً من المصائب التي عاشها وعانى منها، في حين أنها لم تكن في أحسن الأحوال تدر عليه سوى باليسير من المال الذي كان بالكاد يكفي حاجته هو وأطفاله، وقد وصف الجواهري هذه الحال مع عمله بالصحافة في أبيات من قصيدة (أجب أيها القلب) في عام 1940[3]، حيث يقول:

---

(1) شعبان,عبد الحسين.(1997), الجواهري جدل الشعر والحياة, دار الكنوز الأدبية-بيروت – لبنان ص 28- ص 29.

(2) الجواهري، محمد مهدي. (2011). الأعمال الشعرية الكاملة، دراسة وتقديم عصام عبد الفتاح، الجزء الأول، الطبعة الأولى (2011)، مكتبة جزيرة الورد، ص 10.

(3) الجواهري، محمد مهدي، (2011). الأعمال الشعرية الكاملة، ص 9.

تحلَّــبَ أقــوامٌ ضــروعَ المطــامعِ ورحــت بوســق مــن أديــبٍ وبــارعِ
وعلَّلْــتُ أطفــالي بشــرٍّ تعلَّــةٍ خلــود أبــيهم فــي بطــون المجــامعِ[1]

وتدل المصادر التاريخية على أن شيئاً من أشعار الجواهري التي نظمهـا فـي سـن مبكرة لم يبق، وأول قصيدة نظمها كانت قد نشرت في شهر يناير عام 1921 ,وأخذ يـوالي النشر بعدها في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية[2].

وعندما قامت حركة مايس سنة 1941م أيدها وبعد فشلها غادر العراق مـع مـن غادر إلى إيران. وعاد إلى العراق في العام نفسه, واستأنف إصدار جريدته(الرأي العام).

وفي عام 1944م شارك في مهرجان أبي العلاء المعري في دمشق. وفي عام 1947م دخل المجلس النيابي نائباً عن كربلاء, واستقال من المجلس مع من استقال من نواب المعارضة احتجاجاً على السياسة الاستعمارية التعسفية التي أرادت فرض معاهدة بورتسموث على الشعب, فكانت وثبة كانون عام 1948م, وقد استشهد فيها شقيقه الأصغر جعفر. وأُريد منه أن يعود إلى المجلس النيابي في جملة من عاد إليه من المستقيلين فامتنع. وقد قال قصيدة مهمة وموجعة على قبر أخيه جعفر[3]. جاء فيها:

أتَعْلَــمُ أم أنــتَ لا تَعْلَــمُ بــأنَّ جــراحَ الضــحايا فَــمُ
فــمٌ لــيس كالمــدّعي قولــةً ولــيسَ كــآخر يســتفهِمُ
يقولــون مــن هــم أولاء الرعــاع فــأفهمهمُ بــدمٍ مــن هــمُ

---

(1) الجواهري، خيال محمد مهدي، (2004). الجواهري ... مسيرة قرن، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ص 138.

(2) بيضون، حيدر توفيق. (1993). محمد مهدي الجواهري شاعر العراق الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 26.

(3) حسن, ديب علي. (2004). الجواهري رحلة الشعر والحياة, تقديم: سليمان سليم البواب, مؤسسة المنارة, بيروت, ص17- ص 18.

أخـــي جعفـــراً يـــا رواء الربيـــع إلــــى عفـــن بـــارد يســـلم[1]

وفي أيلول من العام نفسه سافر إلى باريس ومنها إلى (بركلاو) في بولونيا لحضـور أول مؤتمر للسلام العالمي, وبعد انتهاء المؤتمر عاد إلى باريس وأقام فيها عدة أشهر, ثم رجع إلى العراق.

أصدر في عامي 1949و1950م الجزء الأول والثاني من ديوانه في طبعة جديـدة. وقد ضم هذا الديوان فيما ضم قصائده التي نظمها في الأربعينيات والتي برز فيهـا شـاعراً كبيراً, ومن بينها: قصيدة (ستالينغراد) و(المقصورة) و(المعرّي) و(أبو الـتِّمن) و(الـوتري) و(سواستبول) و(أجب أيها القلب) و(أخي جعفر) و(يوم الشهيد).

وفي عام 1950م دعاه الدكتور طه حسين للمشاركة في المؤتمر الثقـافي للجامعـة العربية الذي عقد في الإسكندرية, وعندما وصل إلى مصر أعلن الـدكتور طـه حسـين أن الجواهري ضيف الحكومة المصرية, وفي هذا المؤتمر ألقى قصيدته المعروفة "إلى الشـعب المصري"، واختتم الدكتور طه حسين الحفلة، بعد انتهاء الشاعر من قصيدته، بخطاب مرتجل منوهاً بالشاعر وبشعره وبالشعب العربي[2].

والتي يقول فيها:

يـا مصـرُ تسـتبقُ الـدهور وتعثـرُ والنيـل يزخـرُ والمسـلَّةُ تزهـرُ
وبنـوكِ والتـاريخُ فـي قصـبيهما يتسـابقانِ فيُصـهرونَ ويُصـهر
والأرضُ يُنقـذ مـن عَمايـة أهلهـا نـورٌ يـرِفُّ علـى ثـراكِ ويُنشـر[3]

(1) الديوان: المجلد الثاني, ص 279.

(2) شعبان، عبد الحسين. (1997)، الجواهري جدل الشعر والحياة، ص ص 28 – 29.

(3)الديوان، المجلد الثالث، ص 45.

وقد عرّض فيها بالحكم الرجعي القائم في العراق آنذاك, حيث يقول:

يا مصــرُ لــيس مِــن العــراق مفــرِّقٌ   يَنــدسُّ مــا بــينَ الصــفوف ويُحشــر
إنَّـــا لنبـــرأ مـــن نُصـــوصٍ عنـــدَنا   تُمضـــى علـــى مـــا لا نُحـــبُّ وتُمهـــر
تُمضى على صَدعِ الصــفوفِ وفوقَهــا   راحـــت يـــدُ المســـتعمِرينَ تؤشِّـــر[1]

ويستمر في التصعيد والتحدي في قصيدته المعنونة" في مؤتمر المحامين" التـي ألقاهـا فـي الاحتفال الذي أقامته نقابة المحامين العراقيين, في بغداد يوم 29 تشرين الثاني (نوفمبر)عـام 1951م, فلا يكتفي الجواهري بنقد الحكام فحسب, بل ويدعو للثورة عليهم وتمجيد الشـهادة, مؤشراً إليهم بإصبع الاتهام[2], فيقول:

ســـــلامٌ علـــــى حاقـــــدٍ ثـــــائرٍ   علـــى لاحـــبٍ مـــن دمِ ســـائرِ
يَخُـــــبُّ ويعلـــــمُ أن الطريـــــ   ق لا بُـــدَّ مفـــضٍ إلـــى آخـــر[3]

ويواصل التحدي والتمرد والتصعيد, حيث يقول:

أقـــول: وقـــد لاحَ غُـــولُ الـــبلاءِ   يُفـــرِّجُ عـــن شـــدقِهِ الكاشـــرِ
وخفَّـــتْ" للنـــدن" تلـــك اللصـــو   صُ تلـــبسُ ثـــوب الـــدجى العـــاكر
تحـــوك بـــرغم أنـــوفِ الـــبلاد   نســـيج الهـــلاك لهـــا الـــدامر
إلـــى كـــم تُـــدارى شـــيوخُ العـــراق   وأقطـــاب محـــوره الـــدائرِ[4]

ثم عاد إلى العراق لتدعوه في عام 1951م لجنة تأبين عبد الحميد كرامي إلى بيروت للمشاركة في تأبينه .

---

(1) الديوان، المجلد الثالث، ص 49.

(2) الجواهري، خيال محمد مهدي، (2004)، الجواهري ... مسيرة قرن، ص ص 88 – 92.

(3) الديوان,المجلد الثالث, ص85.

(4) الديوان، المجلد الثاث، ص 92.

أصدر عام 1953 م الجزء الثالث من الطبعة الثالثة من ديوانـــه. وأصـــدر جريـــدة (الرأي العام) إلا أنها عطلت عام 1954م لمناهضته الحكم الرجعي فيها. أرادت الحكومة أن تسكته فأقطعته أرضاً في (علي الغربي) من لواء العمارة (آنذاك) ... ولكنه ســرعان مـــا تمرد, وقد دعته لجنة تأبين عدنان المالكي إلى دمشق للمشاركة في تأبينه[1], والذي أقيم عـــام 1956م(فلما وصل إليها ألقى قصيدته بعنوان "خلّفت غاشية الخنوع" وقد اضطر إلى الإقامة في سورية قرابة عام ونصف العام من جراء تنّمر المسؤولين آنذاك وحـــنقهم بســـبب هـــذه القصيدة, والتي يقول فيها:

خلّفـــتُ غاشـــيةَ الخنـــوع ورائـــي وأتيـــــت أقـــبس جمـــــرةَ الشـــــهداءِ[2]

والتي فضح فيها آنذاك وأقام في دمشق بعد أن منحته الحكومة السورية حق اللجـــوء السياسي, وظل فيها قرابة سنتين ضيفاً على الجيش السوري. وفي دمشق أصدر الجزء الأول من ديوانه في طبعته الرابعة, ولم يصدر أجزاء أخرى منه, ثم عاد إلى بغداد عام 1957م[3].

أقام بعد عودته من دمشق في (علي الغربي) حتى إذا قامت ثورة الرابع عشـــر مـــن تموز عام 1958م عاد إلى بغداد ,واستأنف إصدار (الرأي العام) ووقفها على تأييـــد الثـــورة ومنجزاتها.ثم انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفيين.

وعندما عقد المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت في كـــانون الأول مـــن عـــام 1958م حضره رئيساً لوفد اتحاد الأدباء العراقيين[4]

---

(1) الديوان، المجلد الأول، ص 10

(2)الديوان، المجلد الثالث، ص 157

(3) الديوان، المجلد الأول، ص 10.

(4) ديوان الجواهري (1982) المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط3، ص ص 9 – 10.

ولم يمض على الثورة عام حتى أخذ يواجه مضايقات مختلفة بلغت حداً أدى إلى الاعتداء عليه وتوقيفه, فخشي على حياته, فانتهز دعوته إلى حضور حفلة تكريم الأخطل الصغير في بيروت عام 1961م لمغادرة العراق, وقد غادره فعلاً, ومن هناك استقر في براغ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين.

وإذ اشتدت الضائقة بالشاعر, قبل مغادرته العراق, رأى جماعة من الأصدقاء والمحبين أن يسعوا للتخفيف عنه ففكروا في طبع ديوانه كاملاً في أربعة أجزاء, وبدأ المشروع فعلاً وصدر منه جزءان, صدر الجزء الأول عام 1960م, والجزء الثاني عام 1961م.

ويبدو أن الشاعر المحارب بدأ يفقد شيئاً من قواه لأنه وجد المعركة غير متكافئة فقال: "فها أنا اليوم في مرحلة تتجاوز كل ذلك في ضرواتها وقساوتها بل وفي تخبطي أنا بالذات في مجاهلها ... والحقيقية المرة ... فقد كنت أحارب أكثر من جبهة واحدة، جبهة جهاز عبد الكريم قاسم، جبهة الصحافة، جبهة الأرض الخراب ...."[1].

بعد أن أدرك الشاعر أنه غير قادر على البقاء بسبب ما مر، قال في قصيدته "أعيدكم من كذبتين"

خذوا كبدي قبل الفراق فإنها ... معوّدةٌ أن لا تَقَرَّ على النَّزْحِ
لئن سَّركم أني إلى العيش كادحٌ ... لقد ساءني أني لغير العُلا كدحي
فما عرفت كفي التسوّلَ للغنى ... ولا صافحت كفاً تُمَدُّ إلى المنح[2]

---

(1) ذكرياتي، ج2، ص 249.

(2) الديوان، المجد الأول، ص 120

وفي أواخر عام 1967م جاء إلى بيروت ليطبع ديوانه كاملاً , فاتفق مع دار الطليعة على إصداره, فصدر الجزء الأول منه في نيسان من عام 1968م. وكانت المكتبة العصرية ومطبعتها في بيروت، قد أصدرت قبل ذلك بعام جزءين في مجلد واحد ن ديوانه, أفاد الشاعر أنها طبعة مسروقة.

وبعد ثورة السابع عشر من تموز, وفي أواخر عام 1968م عاد إلى الوطن بدعوة من حكومة الثورة. وقد استقبل استقبالاً حافلاً, وأقامت له وزارة الإعلام حفلاً لتكريمه, ألقيت فيه القصائد والكلمات, وألقى هو فيه قصيدته المشهورة بعنوان" أرح ركابك", حيث يقول:

أَرِحْ ركابك من أَيْنٍ ومن عَثَرِ	كفاك جيلان محمولاً على سفر
كفاك موحِشُ دربٍ رُحتَ تقطعُهُ	كأنَّ مغبرَّه ليلٌ بلا سَحَرَ
ويا أخا الطير في وِرْدٍ وفي صَدَرٍ	في كلِّ يومٍ له عُشٌّ على شجر[1]

وقد خصصت له حكومة الثورة راتباً تقاعدياً شخصياً قدره (150) ديناراً في الشهر. وفي عام 1969م صدر الجزء الثاني من ديوانه عن دار الطليعة, وفي العام نفسه صدر له في بغداد ديوان " **بريد العودة**"[2].

وإذا كان قد نشر أول مجموعة له باسم حلبة الأدب سنة 1923م، مطبوعة دار السلام، عارض فيها عدداً من الشعراء المعاصرين والقدامى، فقد نشر مطوّلته الشعرية الموسومة بـ "أيُّها الأرق" سنة 1971م، كما نشر "خلجات" سنة 19714م[3].

---

(1) الديوان، المجلد الرابع، ص 68.

(2) شعبان,عبد المحسن.(1997), الجواهري جدل الشعر والحياة,ص27.

(3) الزبيدي، سعيد جاسم. (2015)، من معجم الجواهري، دار كنوز المعرفة العلمية، للنشر والتوزيع، عمان، ص 21

كان لنعمة الشعر التي تمتع بها الجواهري نقمة على حياته، فتمرده وطبعه الثوري في قصائده قد أفضى به إلى إنهاء خدمته في التدريس، حين أصدر مدير المعارف آنذاك ساطع الحصري قراراً بإنهاء خدمته بسبب نشره قصيدة (بريد الغربة) التي استوحاها من طبيعة إيران أثناء سفرته الثانية لها، وقد اتخذ فيها بيتاً ذريعة للإيقاع به[1].

ويمكن القول إن الجواهري قد خالف في طريقته معظم شعراء العصر الحديث، ومن بينهم شوقي والزهاوي والرصافي الذين اتخذوا من التاريخ نظماً، وللأخير باب كامل سماه التاريخيات، أما الجواهري فقد نظم الفكر شعراً، لأنه كانت لديه قضية اعتنقها وعايشها وعاشت في داخله، ولهذا كان شعره مؤثراً في صياغته، وأسلوبه[2].

وفي هذا يوضح الدكتور جلال خلف ارتباط شعر الجواهري الوثيق بين الفكر والواقع، وبين التصور والتطبيق، وبين الوطن والعالم، وبين الإنسان والتاريخ، وبين الماضي والحاضر والمستقبل تماماً كارتباط الفكر بالتطبيق في فلسفة وليام جيمس، أو ارتباط العلم في فلسفة كارل ماركس، أو ارتباط الصورة بالمادة في فلسفة أرسطو[3].

لغة الجواهري:

يعد الجواهري شاعراً جمع بين الحكمة والشعر في إطار المذهب القائل إن الشعر تمثال الشعور, ومرآه النفس, ويعد أيضاً من أهل الحداثة في الشعر قياساً إلى زمنه, وإلى مفهوم القدامي متمثلاً في الشعر"عمود الشعر".إلا أن الجواهري شاعر مؤتلف ومختلف في

---

(1) الغبّان.محمد جواد.(2006).الجواهري فارس حلبة الأدب,دار المدى للثقافة والنشر,سورية,

(2) خلف,جلال,عبدالله.(2012).إيديولوجية الفكر اليساري في أدب محمد مهدي الجواهري بين التصور والتطبيق.مجلة الأستاذ.العدد201.ص379.

(3) خلف,جلال,عبدالله.(2012). المرجع نفسه، ص379.

الوقت نفسه فهو مختلف في اتجاهيين:

أولاً: بالقياس إلى الشعر التقليدي في زمنه, حيث إن قصائده كما وصفها باقر الشبيبي "تهز الأرواح, وتثير النفوس, وحسبها أن تكون معلماً يملي عليك فلسفة الحب، ومعنى الوطنية، ودقة الوصف"[1]. إن شاعرية الجواهري كما وصفها الشاعر علي الشرقي"متجهه إلى الجمال:جمال الجمال, وجمال الوطن, وجمال الحرية "[2].

ثانياً: بالقياس إلى شعر الحداثة الذي أحدثه السياب والبياتي في بنية القصيدة العربية وشكلها البصري.

أما الائتلاف في شعر الجواهري فقد سار على نهج أبي تمام والمتنبي, حيث إن شعره يواكب روح العصر في موضوعاته وتعابيره المناسبة , وبعبارة أخرى فإن شعره ينم عن الشعور.

وبالرغم من التزام الجواهري بعمود الشعر وبأساليبه الموروثه والمتعارف عليها إلا أنه استخدم عدة أساليب في أسلوب؛ بحسب الموضوعات والبواعث الداعية لذلك, فنراه تارةً يشتد ويعنف, وأخرى يرق ويعذب, ثم يتوسط بين العنف والعذوبة , وفي وضع آخر يسخر ويتهكم[3].

وقد امتلك الشاعر القدرة على الإبداع ومزج عناصره بطريقة فنية جميلة, فذلك يعني

---

(1) السامرائي, إبراهيم وآخرون (1973), سلسلة ديوان الشعر العربي–ديوان الجواهري, عدد 33, مطبعة الأديب البغدادية, إصدار وزارة الأعلام, بغداد، ص 30.

(2) السامرائي , إبراهيم وآخرون (1973) ,المرجع السابق، ص 35.

(3) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري...مسيرة قرن, منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية, دمشق, ص 41

أنها تكونت لديه الشرارات المتواصلة التي تولد هذه العملية الإبداعية لديه وتفجرهـــا, وهـــو بحاجة إلى بواعث تفسر العملية الإبداعية لديه, وتنبع هذه البواعث من عدة جوانـــب كنفســـية الشاعر وشخصيته, والبيئة التي يعيشها, وروح العصر الذي ينتمي إليه, إذ يختلف كل إنســـان عن الآخر في ظروفه، ومؤثراته النفسية، وصفاته, وكذلك فـــإن لكـــل عصـــر خصائصـــه ومعطياته التي تختلف من عصر إلى آخر, لذلك فكل إنسان لديه انطباعات خاصة وتصورات للكون والحياة والواقع الذي يعيش فيه(1). ويعد الجواهري من الشـــعراء المفعمـــين خصـــوبةً ونجاعةً في الإبداع الشعري, حيث اعتمد تقنيات حديثة في التعبير وانبثقت موهبته من أكمـــام اللغة والبلاغة, فقد وصل إلى مستوى رفيع من التطور والتجديد في ابتكار الأشكال التعبيرية, فلم يوفر جهداً ليخدم أسلوبه الشعري من الأنساق الفنية والتقنيات الإبداعية, فهو يقـــوم علـــى اعتماد رؤية إبداعية في التفكير بكل جديد, إذ تقوم رؤيته الشعرية على ثلاثة أبعـــاد: البعـــد التكويني (الذات), البعد الواقعي (الموضوع), البعد الفني(التجربة الإبداعية)(2). وتقدم الأبعـــاد السابقة مجموعة من القيم والخواص الشعرية وأهمها:

أولاً: بروز ظاهرة التمرد في شعر الجواهري كالتمرد على الذات من حيث التكوين, والتمرد على الواقع بترسيخ قيمه ومبادئه, إذ التزم بمشروع نضالي نهضوي ليشـــكل الظـــاهرة الأسلوبية لديه, وهذه الظاهرة يلتزم بها السياسيون وأصحاب النفوذ في المجتمع.

ثانياً: مجاوزة النسق التعبيري, إذ يتحول فيها أسلوبه من طابع الغنائية إلى الطابع الـــدرامي, وظهرت من خلال النزعة الدرامية, ورسم الشخصيات وتعيين المكان.

---

(1) صويلح,فوزي علي علي(2008).خصائص الأسلوب في شعر محمد مهدي الجواهري,رسالة دكتوراه منشورة, جامعة صنعاء,اليمن, ص112.

(2) محمد جواد الغبّان. (2006). الجواهري فارس حلبة الأدب, دار المدى للثقافة والنشر, سورية, ط1, ص 56.

ثالثـاً: التطور والتجديد في البناء الفني من خلال تميز شعره بظاهرة المطولات الشعرية التي تضم القصائد الطوال التي تجاوزت الثلاثين والمئة والثلاثمئة بيت.وتعد ظاهرة المطولات في شعره ملمحاً إبداعياً يؤكد القدرة التي يمتلكها في النفس الشعري والثراء اللغوي الذي حققه من خلال استلهام التراث, والحفظ والمطالعة, والتجريب, وممارسة الاختيار, وغزارة الإنتاج الشعري مع التقدم في العمر.

رابعاً: وجود رؤية بصرية تستمد من خلال العلامات السيميائية والتشكيل الطباعي, حيث تولدت هذه الرؤية من خلال تجريب أشكال جديدة في تشكيل القصيدة وكتابتها, مما يدل على خصوبة المتخيل الشعري لديه(1).

هكذا يبدو أن "**حداثة**" الجواهري تقع بين حداثة التجربة التي تجاوزت القدامة الشعرية المعروفة قبله, ولكنّها لم تصل بمفهومها إلى الحداثة التي دعا اليها السياب ونازك الملائكة, إنها حداثةٌ داخل البيت العمودي الكلاسيكي, الذي طوّرتْهُ بقدْر ما يقوده إلى الإبداع, تلك الصياغات التي تذكّر بقوّتها وقوّة مطالعها, ونهاياتها بالمتنبّي, ولكنها تتخذ من هموم العصر ومشاكله, وهموم الغربة زاداً جديداً تتغذّى منه, مثلما تتخذُ من التمرُّد ورفض الواقع المعيش زاداً آخر يغذّي شعريته المتدفّقة.

الجواهري وأسفاره:

تنقل الجواهري, كما اتضح لنا من سيرته, في بلدان كثيرة, كان بعضها باختياره, والبعض الآخر كان مضطراً إليه. فقد تميّز بكثرة الحل والترحال شأن صنوه المتنبي, حيث كانت أول رحلة استجمام له عام 1924بعد مرضٍ خطير أصابه, وأما سفرته الثانية فكانت

(1) صويلح,فوزي علي علي(2008).خصائص الأسلوب في شعر محمد مهدي الجواهري, ص132.

عام 1926م إلى طهران بدعوة من أخيه عبد العزيز.

فوجد ضالته بالسفر لإيران منتهزاً فرصة دعوة أخيه عبد العزيز فقـــال: "إن ســـفري لإيران كانت بمناسبة وجود أخي عبد العزيز الذي كان دعاني في السفرة الأولى للاســـتجمام، أما الثانية فقد دعاني لكي أكون مشرفاً على بيته خلال عودة من عوداته الكثيرة إلى الـــوطن، وقد وضعتني هاتان السفرتان بالمصب الجديد الذي تفجرت به، وهو الذي جعلني بعدئذ أرمي إلى قصائدي ما بين بداية العشرينات والثلاثينات"[1].

وفي عام 1934م سافر الشاعر إلى لبنان وفيها نظـــم قصـــيدته المشـــهورة "وادي العرائس" في زحله, وفي عام 1938م سافر الجواهري إلى القاهرة ضمن الوفد الطبي ليلقـــي قصيدته في المؤتمر الطبي المقرر هناك, وهو في طريقه إلى مصر ماراً ببيروت فوجىء بنبأ وفاة زوجته"مناهل" فقطع سفره راجعاً إلى بغداد، ونظم قصيدة رثاء حزينة,وفي العام التـــالي عاد إلى لبنان سائحاً.

ثم بعد ذلك وفي أعقاب حركة الكيلاني عام 1941م توجه الجواهري إلى إيران هرباً من الأحداث العاصفة في بغداد, وكان بصحبة عائلته, وهناك التقى بكثير من الوجوه السياسية الفارة أمثال:حكمت سليمان, وناجي السويدي, ويونس السبعاوي وغيرهم[2].

وفي العام نفسه قصد لبنان متنزهاً, وأثناء مروره في سوريا منع من دخول لبنان ,حيث لقي على الحدود السورية المعاملة الحسنة من المسؤول فأتاح له فرصة الاتصـــال هاتفيـــاً بأحـــد معارفه ليسهل له دخول دمشق ثم إلى بيروت حيث كان ذلك في عام 1942م, وهناك نظـــم

(1) الجواهري، محمد مهدي. (1982). ذكرياتي، ج1، ط1، دار الرافدين، دمشق، ص 124.

(2) الجواهري، خيال. (1999). الجواهري وسمفونية الرحيل. منشورات وزارة الثقافة، دمشق. سوريا، ص 133.

قصيدة جميلة بعنوان"بنت بيروت", وفي عام 1944م عاد الجواهري من لبنان إلى سوريا لتلقيه دعوة للاشتراك في المهرجان الشعري الذي أقيم في ذكرى المعري.

وفي عام 1947م ذهب الجواهري إلى لندن بدعوة من الجمعية البريطانية العراقية , وشارك عام 1948م في مؤتمر رجال الثقافة والفن في العالم، الذي انعقد في مدينة "فروسلاف" في بولاندا.

وسافر أيضاً إلى براغ في أواخر عام "1985م"، حيث كان عضواً في مجلس السلم العالمي[1].

مغترب الجواهري:

أكد الشاعر مراراً وتكرار أن من يتخذ طريق المقاومة منهجاً له ينبغي عليه أن يكون مستعداً في أية لحظة للمواجهة والتضحية فقال: "وفي الواقع لم أتحمل كل ما تحملت وعانيت ما عانيت إلا إيماناً بأن من يسير على درب المواجهة أو المقاومة عليه البقاء وجهاً لوجه حتى أمام الموت وإلا فكيف يكون الصامد"[2].

إن الشاعر هو المرآة العاكسة لمعاناة شعبه ووطنه؛ فلم يهدأ له بال ولم يقر له قرار وهو يرى أبناء شعبه يعودون إلى المربع الأول مربع الألم والمعاناة حيث يقول: "كيف لا والمتحكمون والمأجورون والخونة والمرتزقون ... موزعون هنا وهناك على خارطة الأحداث ... من هذا الواقع ... بدأ حصار الإعلام الرسمي والحزبي والصحفي عليه في عهد عبد

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري....مسيرة قرن,ص28.

(2) ذكرياتي، ج2، ص 250

الكريم قاسم ولنقل من السنة الثانية من حكمه"[1].

يمزج الجواهري في شعر الحنين بين حنينه للمكان والأهل وبين الألـــم والعنــف, إذ تأججت مشاعر الحنين في نفس الجواهري بعد اغترابه رغم أنفه عن وطنه , إذ ســـافر إلـــى إيران وأمضى فيها فترة طويلة من الزمن عام (1924), مما آثار فيه الشوق والحنـــين إلـــى وطنه الأم, [2] رغم جمال حدائق ومصايف إيران الرائعة فقد بقيت العراق ألماً يعتصر قلبـــه شوقاً وحنيناً. إن الاستبدال المكاني لم يوهن من سلطان حب الوطن في نفس الجواهري, ولم يخمد حنينه وشوقه لوطنه الذي رسمه بقلبه, إذ كان حب الوطن ينبض في قلـــب الجـــواهري حيث ينتقل جسده, وعلى هذا فلم يشكل البلد المنزوح إليه بديلاً عن بلده المنزوح عنها[3].

لقد بقي الجواهري على تلك الحال بعد انتقاله إلى براغ الجميلة, والتي برغم جمالهـــا فهي لم تمسح جراح الغربة في قلب الجواهري , فلا زال الألم يعصف وينهش في قلبه, حيث جاشت قريحة الجواهري برائعته الحزينة المليئة شوقاً والمتقدة جمراً لوطنه والتي كان عنوانها (بريد الغربة) التي تجسد اليأس والملل الذي ملأ نفسه بسبب طول مســـيرة حياتـــه الطافحـــة بالآلام والأحزان, وبالرغم من وصف الجواهري لبراغ بأنها أجمل بلد ارتاحت إليها نفسه, إلا أنه بقي يصارع لوعة التغرب, ويكوى بنار التشرد والحنين إلى وطنه وإخوانه وأحبائه. فنراه يبكي على شبابه المضيّع وعلى فراق أحبته وأصحابه الذين ظل يتمنى لقاءهم فالدنيا لا تعني له شيئاً مقابل أمله في العودة إليهم[4].

---

(1) ذكرياتي، ج2، ص 256

(2) الأعرجي.محمد حسين.(2003).الجواهري دراسة ووثائق.دار المدى للنشر,دمشق، ص 58.

(3) الجواهري,خيال محمد مهدي(2004),الجواهري....مسيرة قرن, ص 36.

(4) الغبان,محمد جواد(2006),الجواهري فارس حلبة الادب, ص 66

لقد استمرت معاناته النفسية بسبب معاناته القسرية وهي التي ولدت عنده روح الشعور بالغربة والحنين، ومن ثم الشعور الجارف بالحنين إلى الأهل والأرض.

لقد حرّك اتهامة من قبل البعض بضعف الانتماء في دواخله آليات الرَّد عليهم حيــث قال:

جـــــدِّدي ذكـــــرَ بِــــلادي إنَّنــــي	بهواهـــــا أبـــــدَ الــــدهرِ رَهــــين
أنـــا لـــي دينـــان: ديــنٌ جـــامعٌ	وعراقـــي وغرامـــي منــــه دِيــــن
القـــــوافي أدمُـــــعٌ منظومـــــةٌ	والأناشــــيدٌ بكــــاءٌ وَحَنــــين[1]

(1) ديوان، المجلد الأول، ص 155

الدراسات السابقة

في دراسة نقدية أعدها **فوزي كريم بعنوان:"من الغربة حتى وعي الغربة"** ونشرت ضمن مجموعة من الدراسات النقدية حول الجواهري وشعره، أوضح الكاتب أن الجواهري لم يخضع للحداثة في شعره، ولا ينتمي إلى المدرسة الحديثة من حيث القابلية على تبني الموقف من الحاضر واستيعابه استيعاباً فكرياً، كما أنه لم يخض عباب الشعر من حيث هو رؤيا، إنما اتخذ الشعر وسيلة للبوح والتعبير عما في نفسه من الأحداث التي مر بها من الحنين والمعاناة, ولكنه عدّ الجواهري معاصراً إلا أنه لم يقف بحدود المعاصرة الكلاسيكية التي تنتمي إلى مرحلة انهيار أدبي شامل لبناء ضخم كان فيما مضى يشكل وجهاً حقيقياً[1].

من جانب آخر، تناول **الدكتور خلف في دراسته "أيديولوجية الفكر اليساري في أدب محمد مهدي الجواهري بين التصور والتطبيق"** جانباً من شخصية الجواهري، تمثّل في انتماءاته السياسية والحزبية، التي رأى الكاتب ضرورة التطرق إليها؛ لدراسة تأثيراتها على نتاجاته الشعرية، حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على الميول الفكرية لدى الجواهري الذي كان يجهر باعتناقه الفكر الاشتراكي الذي انتشر في مرحلة الأربعينيات والخمسينيات في العديد من البلدان العربية والإسلامية, ولعل شعر الجواهري يعكس بوضوح تاريخ ذلك الفكر وفلسفته.

---

(1) كريم,فوزي.(1969).الجواهري,دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين.النجف:مطبعة النعمان.ص81.

وأضاف الكاتب أن من يقرأ دواوين الجواهري يجد بوضوح قصائد مطولة تدور مضامينها حول موضوعات الفلاح البسيط, والعامل الكادح, والمرأة المظلومة, وحرية التعليم, وحق الشعوب في تقرير مصيرها، كما أنه اتخذ من مبدأ الصراع الدياليكتيكي منهجاً في بناء أسلوبه الشعري حيث وظف عامل الصراع بشكل فلسفي ليجد في النهاية طريقاً لانتصار الخير على الشر والحق على الباطل[1].

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ظهور تأثير الفكر الماركسي بجلاء في قصائد الجواهري، وذلك من خلال دفاعه عن الطبقات المقهورة ومطالبته بحقوق الفلاحين والعمال، فهو في ذلك كمن يكتشف طبقة اجتماعية جديدة لم تكن موجودة، وأخذ يتحدث عن حق الفقير بدلاً من الحديث عن الرحمة والإحسان إليه، لكن الكاتب يؤكد بأنه على الرغم من تبني الجواهري مبدأ الاشتراكية في نصوصه الشعرية غير أنه لم يكن ثورياً بالمعنى العلمي الدقيق للكلمة, وهذا ما يفسر جنوحه أحياناً إلى مدح ملوك لا علاقة لهم بالثورة.

وفي دراسة أعدها **الصعب بعنوان:"الغربة في شعر الجواهري، دراسة تحليلية"** ، هدف الباحث إلى التطرق لمفهوم أزمة المواطنة ومشاعر الغربة في شعر الجواهري، وتناول العديد من الأبيات الشعرية للجواهري التي تحدثت حول هذه المعاني، وقد بينت الدراسة أن انتماء الجواهري نابع من الحس الوطني الواعي فهو جزء من هذه الأمة، ومن ملازمته للوطن تأتي مقارعته للاستعمار والرجعية على حد تعبير الصعب ، ومن ارتباطه الفكري والثقافي بالأمة انطلقت حملة الدفاع والمواجهة ضد التيارات المتطرفة ، ولعل من أبرز ملامح الانتماء لدى الجواهري في شعره: ما نظمه في الحنين إلى الوطن، والتعلق بالأرض، من

---

(1) خلف, جلال,عبدالله. (2012).إيديولوجية الفكر اليساري في أدب محمد مهدي الجواهري بين التصور والتطبيق.مجلة الأستاذ.العدد201.ص379.

خلال امتزاجه بالنهر والنخلة والسفح ، وهي كلها رموز أسقطها على التجدد والخصب.

كما يبين الباحث أن ديوان الغربة قد تكررت فيه أسماء لأشخاص وأماكن ومدن كبغداد والنجف والبصرة، بوصفها مراكز ثقافية وأدبية شكلت في ذاكرة الجواهري بعداً سياسياً، واجتماعياً، وحضارياً فاض في عطائه الشعري.

وقد بينت نتائج الدراسة أيضاً أن شعور الجواهري بالغربة سواء في وطنه أم في المنفى إنما كان نابعاً من ثوريته التي كانت وليدة إحساسه الغريب[1].

قدم شعبان في كتابه (الجواهري جدل الشعر والحياة) ، الجواهري من زاوية لم يألفها القارئ كثيراً بلغة لها خصوصيتها التي تعرض تضاريس هذه الشخصية من قرب وعن دراية في حواراتها وفيما تعكسه آراء الآخرين فيها من قريبين أو من ناظرين عن بعد، فكان امتزاج ساحة المولد (النجف الأشرف)، وسوح النضال في تعرية الدكتاتورية، على تعدد محطات الغربة، وعلى اختلاف موانئ السفر المفتوح في أفق الثقافة، لبث آثار التنوير وإلهاب مشاعل الحرية، أفقاً آخر يلتقي فيه الشاعر من جهة والمؤرخ والسياسي من جهة ثانية في نظرتهما الإنسانية للحياة على النحو الذي نجده ماثلاً في هذا الكتاب[2].

وتناول **معروف، في كتابه (محمد مهدي الجواهري وأغراضه الشعرية)** حياة الجواهري وشخصيته، وأغراض شعره: المدح، الرثاء، الوصف، الشعر السياسي، الغزل، والتعرف على البواعث الرئيسية لتفجر الشاعرية لديه وسر تطور شعره قبل خمسين عاماً[3].

---

(1) الصعب, أحمد. (2013). الغربة في شعر الجواهري (دراسة تحليلية), مجلة اللغة العربية, العدد16.

(2) شعبان, عبد الحسين. (1997). الجواهري جدل الشعر والحياة.بغداد: دار الشؤون الثقافية. ط3.

(3) معروف,يحيى.(2009).محمد مهدي الجواهري وأغراضه الشعرية.مركز النور للدراسات.الموقع الرسمي لمركز النور على شبكة الإنترنت:http://www.alnoor.se

تناو ل الغبان في كتابه (الجواهري فارس حلبة الأدب)، بعض الجوانب التي لفتت نظره في شخصية الجواهري وشاعريته، حيث قام بتسجيل ما تحتفظ به ذاكرته من ذكريات مع (أبي فرات) (يقصد الجواهري), وهو يتكون من فصلين: (الفصل الأول) منهما، عنوانه: (ملامح من شخصية الجواهري وشعره)، يتضمن دراسة جديدة تناولت بالبحث شخصيّة الجواهري وشعره، وتستهل تلك الدراسة بالحديث حول البيئتين: البيئة البيتية، والاجتماعية، اللتين ولد الجواهري فيهما، ونشأ وتربى في أجوائهما، فتأثر بهما، وأثر فيهما، حتى نبغ وصار شاعر العراق، بل شاعر العرب الأكبر، كما أطلقوا عليه ذلك اللقب منذ أربعينيات القرن العشرين. وينتهي به الحديث خلال ذلك حول أسرته النجفية العريقة التي نبغ فيها فقهاء أعلام، ومجتهدون كبار في علوم الدين في النجف، المدينة المتميزة بمقامها العلمي الخطير، وتألقها الشعري الذي يمشي جنباً إلى جنب مع تقدمها العلمي، مستعرضاً أغراض الشعر في النجف، وكثرة من نبغ فيها من الشعراء الذين بزهم الجواهري جميعاً، لافتاً النظر إلى أهم معالم شخصيته ومميزاتها.

ويتضمن (الفصل الثاني) من هذا الكتاب ما تختزنه مخيلة الباحث وذاكرته من ذكريات مع شاعر العرب الأكبر الجواهري خلال مدة تعرفه عليه، التي كانت بدايتها في أربعينيات القرن العشرين حتى نهاية السبعينيات منه, حيث غادر الجواهري العراق للمرة الأخيرة إلى مغتربه الأخير في (دمشق) التي ظل فيها ولم يبرحها حتى انتقاله إلى بارئه العظيم في السابع والعشرين من تموز من عام (1997)[1].

وتحدثت دراسة كل من دهدار وجادري التي جاءت بعنوان" الوطنية في شعر محمّد مهدي الجواهري"عن الشاعر من حيث ولادته ، ونشأته وبيئته وأسرته ، وتحصيله العلمي

---

(1) الغبان,محمد جواد.(2006).الجواهري فارس حلبة الأدب.

والأدبي، وشخصيته الاجتماعية ، وشاعريته،وأسلوبه وآثاره الأدبية، وعن الجواهري الصحفي والتزامه بمكافحة الظلم، وفي النهاية بينت الدراسة أن أسلوب الجواهري يتسم بالصدق في التعبير والقوة في البيان والحرارة في الإحساس، لهذا طبع شعر الجواهري في ذهن الناشئة من كل جيل مفاهيم وقيماً شعرية إنسانية لا تزول. والتزم في شعره قضية الشعب والوطن وراح يعالجها في كل حدب وصوب, وهاجم المسؤولين بصراحة جريئة وعنيفة فنجد مظاهر العظمة والاعتزاز والأنفة في شعره. وكان أسلوبه كأسلوب المتنبي فخماً متيناً جداً وغنياً بالتشبيهات البارعة والاستعارات الأنيقة وبعض الصياغة اللفظية إضافة إلى ذلك أسلوبه الساخر الذي استخدمه بعض الأحيان[1].

وفيما يتعلق بالدراسات التي اهتمت بغرض الحنين إلى الوطن في نظم الشعر، تأتي دراسة الزهراني، بعنوان "الاغتراب والحنين، بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري"، حيث تناولت الباحثة موضوع التجربة الشعرية وأثرها في جلاء العواطف، وتحدثت في هذا الفصل عن أنواع الاغتراب ونزعاته وصلته بالتحليل النفسي، ثم أعطت تفصيلاً عن الغربة النفسية والغربة الفكرية. معتبرة أن الغربة تأتي على ثلاث صور هي الغربة الجسدية، والغربة النفسية، والغربة الفكرية. وتناولت في الفصل الثاني دلالات الحنين والشوق، والعوامل المؤثرة فيهما في الشعرين المشرقي والأندلسي في مدة الدراسة وهي القرن السادس الهجري ولمدة قرن كامل. وتحدثت في الفصل الثالث عن الرؤية الإبداعية حيث تناولت الصورة الشعرية والتكوين الخيالي، والنغمة الصوفية وإيحاءاتها الداخلية. كما تحدثت المؤلفة عن ظاهرة الاغتراب والحنين في شعر العرب، ثم أشارت إلى أن العلاقة بين

---

(1) فراس دهدار وسهاد جادري، (2012). الوطنية في شعر محمّد مهدي الجواهري. منشورة على الإنترنت http: www.diwanalarab.com

الأدب الأندلسي والأدب المشرقي قائمة على التأثير والتأثر، وتشير إلى أن الدراسة اتجهت نحو الموازنة بين الاتجاهين، لأن ميدان البحث يفتقر إلى مثل هذا اللون من دراسات الموازنة فيما يتعلق بظاهرة الغربة والحنين بين المشرق والأندلس، فهي أول دراسة تجمع بين أدب المشرق وأدب الأندلس في شعر الغربة والحنين في القرن السادس الهجري. كما هدفت المؤلفة من هذه الموازنة أيضاً إلى إبراز السمات التي تميز بها شعر الغربة والحنين في أدب المشرق والأندلس وذلك من خلال المقارنة بين الأسباب التي دعت الشعراء إلى الاغتراب والحنين، والصور التي عبّر بها الشعراء عن غربتهم وحنينهم، والوقوف على تأثرهم بالموروث الشعري القديم"[1].

في حين تناولت **الخليلي في دراستها بعنوان "الحنين والغربة في الشعر الأندلسي"** الحنين والغربة ومعناهما وعوامل ذيوعهما، وتناولت معاني الحنين والغربة وسماته الفنية، والخصائص الفنية لشعر الحنين والغربة، وقد تمثلت بسهولة الألفاظ، وبروز العاطفة، والتجربة الذاتية الشعرية، والمزج بين الحنين ووصف الطبيعة، وبناء القصيدة، وتناولت مذهب الصنعة اللفظية في شعر الحنين والغربة والتي تمثلت بالتورية والجناس والطباق[2].

وتناول **خلف في دراسته بعنوان "الغربة والحنين منفذاً للشعر الوطني والقومي"** فكرة الحنين والغربة مع الحديث أيضاً عن حياة الكاظمي ومسببات هجرته وتأثيرها على سير قصائده ذات المضامين الوطنية ، كما تناول الحديث عن الرصافي والزهاوي والشرقي وغيرهم. ولكن التركيز كان منصباً على شعر الكاظمي والفترة التي قضاها في الغربة، وسوء

---

(1) الزهراني، مها عبد الله(1999) ، الإغتراب والحنين .. بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير منشورة في عام (2004)، الدمام.

(2) الخليلي، مها روحي ابراهيم (2007) . الحنين والغربة في الشعر الأندلسي. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

حالته المادية والصحية وحسه الوطني والقومي الأصلي، وجميع هذه العوامل تضافرت مع بعضها مما أدى إلى بروز ظاهرة الغربة والحنين في شعره[1].

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات الثلاث الأخيرة, لم تدرس شعر الجواهري من قريب أو بعيد, الإ أن ما أفدناه منها هو دراسة موضوع الحنين والغربة, ومعناهما وعوامل ذيوعهما, مثلما تعرضت الدراسات الثلاث لمعاني الحنين ومسبباته, وتأثيره على شعر كل شاعر مدروس.

ما يميز هذه الدراسة:

لعل ما يميز هذه الدراسة هو اتجاهها نحو الحنين للوطن في شعر الجواهري, لا سيما أن هذا الشعر موضوع الدراسة لم يحْظَ بما يستحق من البحث والاهتمام, كما تكمن جدتها في كونها تبحث في أسلوب الشاعر، ووصف معاناته، وغربته، وترحاله عن وطنه, وهي من الدراسات التي تأمل أن تبرز دور الحنين للوطن في شعر الجواهري.

تضيف هذه الدراسة إبراز فنيات النص الشعري في الحنين وجمالياته، وتسعى إلى الكشف عن الأدوات الشعرية والجمالية، وسر الجودة الفنية في تجربة الجواهري.

---

(1) خلف، عبد الرزاق كريم. (2007) . الغربة والحنين منفذا للشعر الوطني والقومي، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بغداد، العدد الواحد والخمسون. 177- 198.

الفصل الثالث

الحنين في شعر الجواهري: دراسة مضمونية

مدخل : الحنين في الشعر العربي.

أولاً : الجواهري والمنفى.

ثانياً : موضوعات الحنين:

1-الحنين إلى الأرض.

2-الحنين إلى الإنسان.

3-الحنين إلى الطفولة والصَبا والشباب.

الفصـــــل الثالث

الحنين في الشعر العربي

مدخل:

إن وقفة متأملة وقراءة متأنية متعمقة لما جادت به ألسنة الشعراء العرب على مـــدى العصور - القديمة والحديثة- كفيلة بأن تنقلنا إلى أزمان حيث عـــاش هـــؤلاء الشـــعراء، وأن تجعلنا نعيش أحوالهم حتى في أزمان راهنة، وأن نطلق لخيالنا العنان في تصور كـــل نتـــاج شعري وكأنه قصة أسطورية، أو صفحة تاريخية من صفحات الأمة العربية، بـــل إن الرســـم بالكلمات التي صاغت القصائد الشعرية قد صنع لنا لوحات فنية مختلفة تباينت فيما بينها بتباين الألوان الشعرية والأدوات والأساليب، وإن هذا التنوع العظيم الذي نجده في نتاجات شـــعرائنا العرب إنما جاء نتيجة لتنوع واختلاف الظروف والبيئات التي عاشـــوا بهـــا فاســـتقوا منهـــا أخبارهم، ونهلوا منها كلماتهم ومفرداتهم الشعرية، فمنهم من أتى بالسهل البسيط ومنهم من أتى بالغريب الحوشي من ألفاظ لغتنا العريقة عراقة التاريخ ، ومنهم من أعجز قصـــائده بالـــدرر القرآنية الخالدة، فكانت ألفاظ القرآن الكريم له وحياً استقى منه الكثير من الجماليات والصور الإبداعية[1].

ولا يذكر الشعر إلا وتحقق صدق المقولة إن الشعر ديوان العرب، فبالشعر حفظـــت الأمة تاريخها وصانت لغتها وجعلتها إرثا كبيراً لأجيال وأجيال، قد يكون إرثاً غالياً على من يسعى للحفاظ عليه، وقد يكون إرثاً ثقيلاً على من ينكر غلوه وعلو مقامه فـــي واحـــة اللغـــة

---

(1) عبد البديع، لطفي. (1970). التركيب اللغوي للأدب. القاهرة. ص 4.

العربية وآدابها[1].

وعلى الرغم من أن تعدد الأغراض في الشعر العربي كانَ يعد مقياساً هاماً للمفاضلة بين الشعراء قديماً وحديثاً، فمن كثرت أغراضه بين مدح وهجاء وفخر ووصف وغزل, يتقدم على غيره من أصحاب الأغراض المحدودة، ولعلهم يعدون ذلك دلالة على الاقتدار على قــول الشعر وامتلاك ناصية البيان وتصريفه حسبما يريد الشاعر وتبعاً لمتغيرات الأحوال واختلاف المواقف- إلا أن نظرة متعمقة لما جادت به ألسنة شعرائنا- يمكن لها أن تضع الحنــين إلــى الوطن ومشاعر الاغتراب في مقدمة تلك الأغراض. بل لعل الحنين يصبح مصــدر الإبــداع الشعري, وكفيلاً بأن يخط اسم الشاعر بحروف من ذهب في سجلات التاريخ الشعري العربي، خاصة في ظل ما مر به الوطن العربي من أزمات وانقلابات وثورات، ومــا لقيــه معظــم الشعراء في عصرنا الحديث من ظلم ومعاداة من النظم الحاكمة أفضــى بهــم إلــى النفــي والحرمان من الوطن، بعضهم قضى خارج رحم وطنه، وبعضهم عاش عمره ممزقــاً بــين الحنين وألم الاغتراب[2].

لا يكاد أدب أمّة يخلو من الحنين, فهو موضوع قارٌ في الشعر بعامة, وفــي الشــعر العربي بخاصة. ويمتاز شعر الحنين بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججــة. فهــو تجربة شعورية خاضها الشاعر القديم معبراً عن شعوره بالفقد, وإحساسه بــالاغتراب, مــن خلال أشعاره الرقيقة التي تعدّ جزءاً مقتطعاً من نفس صاحبها.

---

(1) رومية، وهب. (1996). شعرنا القديم والنقد الجديد. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 25.

(2) رومية، وهب. (1996). شعرنا القديم والنقد الجديد. ص 28.

لقد حظي شعر الحنين باهتمام الدارسين منذ وقت مبكر, فقد سعى هؤلاء إلى تقصي ظاهرة الحنين إلى الوطن, منذ العصر الجاهلي, حيث عبّر الشاعر الجاهلي عن حنينه وشوقه من خلال وقوفه على الأطلال: "طلل الحبيبة الراحلة", كما عبّر عن لوعته وحزنه لبعدها وفراقها, آيةُ ذلك أنَّ الحنين إلى الوطن فطرة في الإنسان, تجذبه إلى وطنه, ومراتع صباه, وهي "مستولية على الطّباع, مستدعية أشد الشوق إليها"[1]. إنّ الإنسان منذ عرف الوجود, وعرفه الوجود, كان موصولاً ببيئته لا فكاك له منها. وكادت الصلة بينه وبين بيئته أن تكون أو تعد من الصلة بينه وبين أسرته, أو قريبة منها, وهو كما ينسب إلى أسرته ينسب إلى بيئته, حيث إنه ينمو في أسرته مرتبطاً بأفراد, وينمو في بيئته مرتبطاً بأعداد[2].

وقد وصلت الحال أن تحدث الأطباء عن حبّ الوطن, وما في عناصر الوطن من دواعي شفاء العليل فقال جالينوس[*]*: " يتروح العليل بنسيم أرضه, كما تتروح الأرض الجدب ببل القطر"[3].

ولقد ارتبط الحنين إلى الوطن في بدايته الأولى في العصور الجاهلية بالوقوف على الأطلال, لأن الطلل هو المكان المرتبط بزمن قد مضى, لكنه بقي في ذهن الشاعر بحيثياته وتفصيلاته, وحركاته وسكناته كلها. ومن الطريف أن أحد الدارسين وصل به الأمر إلى أن قال:"إن من الشعراء من لم يغادر وطنه, وكان يختلق وطناً وهو مقيم ثم يحن إليه في

---

(1) الأبشيهي, شهاب الدين محمد بن أحمد (2008). المستطرف في كل فن مستظرف، طبعة جديدة منقحة بإشراف المكتب العالمي للبحوث، منشورات دار مكتبة الحياة، ص 308.

(2) الإبياري, إبراهيم.(1962).الوطن في الأدب العربي,ط1, المكتبة الثقافية، دار القلم للطباعة والنشر، القاهرة، ص 3.

(*)جالينوس:طبيب يوناني, يعد من أعظم الأطباء في العصور القديمة, له مؤلفات في الطب, انظر ترجمته في :بعلبكي ,منير,موسوعة المورد, الجزء 4، ص 186.

(3) الجاحظ,الحنين إلى الأوطان,389.

شعره"[1].

وقد قرن حب الوطن بالحياة, كما قرن الجلاء عنه بالموت, قال سبحانه وتعالى:"وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً"[2].

وفي حب الوطن, ورد قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:" عمّر الله البلدان بحب الأوطان"[3]

ولقد ورد الكثير من الأشعار في الحنين إلى الوطن والأهل على ألسنة الجنود الفاتحين في عصر صدر الإسلام, فنأوا عن الوطن, وتكبدوا مشقة فقد الأحبة من آباء وأبناء وزوجات, فهذا مالك بن الريب الذي خرج غازياً في جيش سعد بن عثمان بن عفان إلى خراسان, وهناك تدنو منيته, فيقول شعراً يفيض حنيناً ويشكو من الغربة قائلاً:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنّ لَيْلَةً	بجَنْب الغَضَا أُزجي القِلاصَ النَّواجيا
فَلَيْتَ الغَضا لَمْ يَقطع الدَّرْبَ عَرْضُهُ	ولَيْتَ الغَضَا ماشى الرّكابَ لَياليَا
تَذَكرتُ من يَبْكي عَلَيّ فَلَمْ أَجِد	سوى السَّيْف والرُّمْح الرُّدينيِّ بَاكيا[4]

وقد اشتهر هذا الغرض"الحنين" في عصر الدولة الأموية في الأندلس, نتيجة الابتعاد والاغتراب عن البلد الأم, ثم تطور وازدهر في العصور اللاحقة, ولا سيما لدى الأندلسيين.

---

(1) بدوي,عبده.(1984).الغربة المكانية في الشعر العربي,مجلة عالم الفكر, م15, ع1, ص5.

(2) سورة النساء, آية 66.

(3) الجاحظ,الحيوان,227/3,والحنين إلى الأوطان,ص389.

(4) القاضي,النعمان عبد المتعال.(1965).شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام,الدار القومية للطباعة والنشر,القاهرة,ص169.

ولعل السبب في ذلك مرده إلى الأحداث السياسية في الأندلس, وسقوط معظم المدن الأندلسية بيد ملوك الإسبان, وكأنّ هذا هو السبب المباشر في المحنة التي عاشها الأندلسيون, فقد قُدِّرَ على الأندلسيين أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة بسبب سقوط المدن الأندلسية بيد الإسبان, الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم, وترك أوطانهم, وفراق أهليهم وأحبابهم إلى غير رجعة, فذاقوا مرارة الضياع والتشتت(1).

فكانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم, فنظموا أشعاراً باكية من شدة اللوعة والحسرة والتشوق والمعاناة, "**وليس كالاغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه به وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسين, سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق, أم بالانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس**"(2).

يقول لسان الدين ابن الخطيب:

سقى الله من غرناطة خير منزل　　　غماماً يُروِّي سَرَحتيها سجَالهُ
وربعاً بحمراء المدينة آهلاً　　　أُميطتْ على بدر السَّماء حجالهُ[3]

ولا يذكر الاغتراب، ولا يلوح في أفق النفس شدو أبيات شعرية في الحنين إلى الوطن, إلّا ويلمع اسم الجواهري علماً وعلامة فارقة في ذلك، استحق من خلال تميزه في هذا اللون الشعري وسواه أن يلقَّبَ بالشاعر الأكبر، أو شاعر العربية الكبير، وهذا لا ينفي بالطبع إبداعاته في الألوان والأغراض الشعرية الأخرى، فقد استحق بجدارة أن يكون الشاعر الأكبر

---

(1) الداية,محمد رضوان.(2000).في الأدب الأندلسي,دار الفكر,سورية,ص131.
(2) عتيق, عبد العزيز.(1976).الأدب العربي في الأندلس, دار النهضة العربية للطباعة والنشر,بيروت,ص273.
(3) ابن الخطيب, لسان الدين, ديوان ابن الخطيب, باب(الصيب والجهام والماضي والكهام),ص574.

في عصرنا هذا, وأن يترك بصماتٍ واضحةً في رصيد الشعر العربي الحديث.

لقد اختلف غرض الحنين إلى الوطن عند الجواهري عن باقي الأغـراض الشـعرية الأخرى, من حيث كونه يعبر عن تجربة شخصية وواقعية عاشها الجواهري, ومن ثـم فهـذا الشعر بمحاكاته لعمق الشاعر خاصة وعمق الإنسان عامة يمثل شعراً غنائياً وجدانياً خالصاً , يختلف عن الشعر الغنائي الموضوعي كالمدح والوصف وغير ذلك، ويرتقي إلى درجة الشعر الإنساني.

ومن خلال مقاربة بعض الدراسات التي تناولت شخصية الجواهري الشعرية، وسمات تلك الشخصية التي انعكست في نتاجه الشعري، يتبين بأنه تميز في شعر الحنين عن كثير من الشعراء، فقد امتاز شعره بميزات لم تكن سائدة في بداية القرن العشرين، تمثَّلَ فـي التمـرد والسخط على الواقع حيناً، وفي الحنين إلى الوطن ومشاعر الغربة حينا آخر. وعليه تتبلـور مشكلة الدراسة الحالية بناء على نقطتين أساسيتين هما، دوافع ظهور شعر الحنين إلى الوطن في الشعر العربي في بداية القرن العشرين متمـثلاً بشـعر الجـواهري، ومظـاهر المنفـى والاغتراب في بعديهما الإنساني والوطني[1].

ولعلَّ شعر الحنين لدى الجواهري، استحق أن يثار حوله الكثير من الاهتمام لسـبر أغوار تلك الشخصية المغتربة والمشتاقة دائماً لوطن لم يعرف الشاعر فيه استقراراً، غير أن الجانب الذي لم ينل حظه الوافر في الدراسة هو الدوافع الخاصة التي حدت بالجواهري لنظم قصائد الحنين إلى الوطن، على الرغم من أنه عاش في منافيه عيشة مستقرة, وفاضت قريحته الشعرية بالكثير من الصور الجمالية والافتتان بالبلدان التي عاش بها منفـاه، ومنهـا إيـران

---

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري...مسيرة قرن, ص67.

وبراغ على سبيل التمثيل لا الحصر.

إن قراءة متأنية لما جاد به الجواهري في شعر الحنين إلى الوطن والاغتراب، والذي اختلط بالكثير من الخلجات النفسية والذكريات المؤلمة، تجعل هناك مجالاً بحثياً يحدد أهمية الدراسة الحالية في الكشف عن ذاتية الشاعر، لتفسير بعض الظواهر النفسية وتقديم بعض التفسيرات الأسلوبية والظواهر اللغوية التي أفرزتها تجربة الشاعر في هذا الغرض.

أولاً: الجواهري والمنفى:

لقد عاش الجواهري, كما لحظنا, نصف عمره تقريباً منفياً عن وطنه, بعيداً عن دجلته, وفراته اللذين يذَكِّرانه بطفولته. ولقد أجبر الجواهري على الخروج من وطنه فعاش فترة طويلة بعيداً عنه, وعن الأهل والأحباب والأصحاب ليعيش في عذاب الغربة, ويتذوق مرارتها, فالجواهري قد آلمته وأوجعته الغربة فأودع كل أوجاعه تلك في شعر يفيض بالأسى والحزن، والشكوى، وألم الفراق، بطريقة فنية وجمالية قلَّما ترقى إليها تجربة معاصرة.

وتراه يقرر حقيقة واقعة يفرضها وهي أنه هو الوطن الذي ينبض به قلبه ويتفوه بلسانه ويسري في دمائه(1), فيقول الجواهري في قصيدته" العلم والوطنية":

يا عِلمُ قد سَعِدَت بك الأوطان	فليسمُ منك على المدى سلطانُ
وليسقِ حُبّيك العراقَ ليشتفي	منه الغليلُ ويرتوي الظمآنُ
هَذِّب لنا أخلاقَ أهليه فقد	غَشَّى عليها الجهلُ والعُدوانُ(2)

لقد بقيت صورة الوطن عند الجواهري ماثلة لا تبارحه: بأناسه، وأشجاره، ومياهه،

---

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري سيمفونية الرحيل, ص170

(2) الديوان.المجلد الأول.(1982).دار العودة–بيروت الطبعة الثالثة,ص86.

ونجفه الأشرف, وأوابده المنسية, وظل الوطن المفقود مبعثاً يوحي للشـــاعر ويلهمـــه أجمـــل اللوحات الفنية الشعرية وأجمل الصور, وقد ظل الرّافدان دجلة والفرات أفضل ممدوحيـــه(1). ففي قصيدة عنوانها"عند الوداع" نظمها عام 1926م يقول:

حسبُ "الفــرات" شــجىً فــراقكُمُ لــه وكفـــــى بدجلـــــةَ أنكـــــم ورُّادُهُ(2)

لقد كان للمنفى في قصيدة الجواهري دورٌ في إبراز القضايا الأساسية التي تمس الجو السائد في الساحة الأدبية والسياسية والاجتماعية, والتي تؤدي إلى تجاوز العقبات وصـــياغة مرحلة جديدة للنهوض بالواقع المتردي في البلاد بصعود وانتصار القوى الجوهريـــة الحيـــة والمغيرة في مجتمعنا العربي عموماً, والمجتمع العراقي على وجه الخصوص."(3)

لقد جاء اغتراب الجواهري الى خارج البلاد دعوة للتجديد والتخلص من قيود القصيدة العربية التقليدية, وهذا ما يميز الشاعر بشكل عام هو إمساكه بتقنية الكتابة بلغة عصره, التي تختلف بين زمن وآخر, لقد وظف الجواهري كل ذلك المخزون الثقافي والمـــوروث الأدبـــي بفكرة تجديدية ملونة بالحداثة ومستجيبة لروح العصر رغم احتفاظها بشكلها التـــاريخي (أي شكلها العمودي)(4).

لقد عشق الجواهري الوطن وطال به العمر لكن دروب المنافي كانت أطول من شوق المحب وكانت أقسى من ليالي السجن, وقد قادته هذه الدروب إلى بلدان متعددة مثـــل مصـــر ولبنان وبراغ ...وغيرها, إلا أن صورة الوطن بأشجاره ومياهه ظلت تلهم الشـــاعر أجمـــل

---

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي. سيفونية الرحيل، (1999), ص170.

(2) الديوان.المجلد الأول,ص181.

(3) ميّا، فاخر. (2006). الجواهري شاعر التجديد والثورة، ط1،، دار المرسالة للطباعة والنشر، سوريا، اللاذقية، ص 68.3

(4) الجواهري,خيال محمد مهدي.(1999),الجواهري سيمفونية الرحيل، ص 171.

الصور الفنية.

لقد بقيت ثنائية الوطن والمنفى تهز أعماق الجواهري وتزيد حالة التوتر الوجداني إلى الأوج عنده, وتشكل لـــــــــه النبع والملاذ, فتشف روحه وتسيل قريحته بفرائـــد طويلـــة, نـــذكر منهـــا "المقصـــورة" 1947م, "كفـــارة نـــدم"1954م, "يـــا نـــديمي"1963م, "أرح ركابك"1969م, "طيف تحد من الشمال"1971م, "أبا الشعر"1987, وغيرها مـــن القصـــائد الجميلة[1].

لقد اضطر الجواهري إلى النزوح عن الوطن لفترة طويلة من الزمن بعيداً عنه وعن الأهل, والتي أمدته بزخم جديد من معدن الشعر ومادته صاغها فناً رائقاً يخلب به اللب ويأسر النفس.

ونرى الجواهري يوضح سبب الغربة لديه من خلال شعره, فالشاعر الحر حين يكبل بأغلال العبودية يضيق بالوطن ذرعاً حتى يستحيل وطنه في مثل هذه الحال سجناً يزج فيـــه من لا جريرة له سوى العُلا والرفعة[2]: فيقول:

ســـــلامٌ علـــــى مُثقَـــلٍ بالحديـــــد	ويشـــــــمَخُ كالقائـــــــدِ الظـــــــافرِ
كـــأن القُيـــودَ علـــى مِعصـــميه	مفـــــــاتيحُ مُســـــــتقبَلٍ زاهـــــــر
أقـــولُ لِمُلقـــىً بتلـــك الجِبـــاب	هَـــــــزوءٍ بأهوالهـــــــا ســـــــاخر

---

(1) ميا,فاخرصالح.(2006).الجواهري شاعر التجديد والثورة,سورية–اللاذقية, دار المرساة, ط1, ص68-72.

(2) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري...مسيرة قرن, ص32.

تبـــوَّأ مـــن سِـــجنه غابـــةً   تَـــدورُ علـــى أســـدٍ خـــادر(*) [1]

فلا شك أن وطنه قابعٌ في القلب والضمير, لكن الظلم الذي يسود بلاده, والكَبْت الذي يخيم عليها يأباهما فكر الشاعر الداعي إلى الحرية والعدل, وما غربته إلا عاقبة من عواقــب الأفكار, وما هو إلا ضحية من ضحايا الاستبداد الجائر, ففي قصيدته " خلَّفْتُ غاشية الخنوع" التي أُلقيت في الحفل المهيب الذي أقيم في دمشق عام 1956م, احتفالاً بذكرى مصرع الشهيد عدنان المالكي.وكان الجواهري ممثلاً للعراق في هذا الحفل بدعوة تلقاها من الجيش السوري. وقد اضطر إلى الإقامة في سورية قرابة عام ونصف العام من جراء غضب المسؤولين آنذاك وحنقهم بسبب هذه القصيدة. وكان طوال هذه المدة ضيفاً على الجيش السوري, حيث يقول:

خلّفــت غاشـــية الخنـــوع ورائـــي   وأتيـــتُ أقـــبسُ جمـــرةَ الشّـــهداءِ

ودرجْتُ في دربٍ على عَنَتِ السُّـرى   ألـــقٍ بنـــور خطـــاهمُ وضَّـــاء

خلَّفتهـــا وأتيـــت يعتصـــرُ الأســـى   قلبـــي وينتصـــبُ الكفـــاحُ إزائـــي

وحمِـدْتُ نفســاً حُــرَّةً لــم تنــتقص   شَـــهْدَ الوفـــاءِ بعلقـــم الإغـــراء[2]

فالحب الكبير تسهل من أجله الصعاب, وتصغر إزاء رفعته المتاعب والأهــوال, وإن الاستبدال المكاني لا يوهن من سلطان هذا الحب عند الجواهري, ولا يخمد جذوته لان خارطة الوطن يرسمها القلب لا حيث يتنقل الجسد, وعلى هذا محال عند الجواهري أن يكــون البلــد

(*) الخادر : المقيم في أجمته.

(1) الديوان.المجلد الثالث. ص87.

(2) الديوان,المجلد الثالث,ص157.

المنزوح إليه بديلاً عن بلده المنزوح عنه[1]: فيقول:

يا صورة الوطنِ المُهـديك معرضُـه أشـجى وأبهـجَ مـا فيـه مـن الصُّـورِ
غيومـه وانـبلاج الشـمس والقمـرِ وقيظَـه وانـثلاجَ الليـل والسـحر
يا صورة الوطن انصـبَّت معالمهـا علـى معـالمَ مـا أبقـت يـدُ العُصُـرِ
تلاحم الضوءُ في عطرٍ وفـي نغـمٍ منهـا أصـيل, فلـم تُنسـخ ولـم تُعَـر[2]

وليس من شيم العزيز الأبي أن يرضى بالذل أو أن يبيت على الضيم, ولو كان الأمر غير ذلك لهان احتماله والصبر عليه, أما المذلة فلا يرضخ لها إلا الخانع الوضـيع[3], يقـول مصّوراً ذلك:

قـد سـئمتُ الحيـاةَ لا جزَعـاً مـا تسَـنى منهـا فلـن أدعـا
بـل لأنـي لـم أنهـز المُتعـا قـاب قوسـين نبُعهـا شَـرَعا
ولأنَّ الهيّابـةَ اللُّكـعا نـال منهـا مـا اسـطاع وافترعـا

إن الجواهري مسكون بحب الوطن ولا يمكن لمثله أن يتخلّى عن هذا الحـب سـواء أكان مقيماً في ربوعه أم مشرداً نازحاً عنه, فحبه في الحالتين سيان, وهو لهذا ساجد للـوطن على كل حال, ومؤد طقوس التقديس والولاء[4], فيقول:

---

(1) شعبان،عبد الحسين .(1997).الجواهري في عيون أشعاره، دار الطلاس للدراسات والترجمة في النشر، ط3، بيروت,ص176.
(2) الديوان,المجلد الرابع,ص69
(3) ميا,فاخرصالح.(2006).الجواهري شاعر التجديد والثورة, ص5-9.
(4) شعبان،عبد الحسين .(1997).الجواهري في عيون أشعاره ، دار الطلاس للدراسات و النشر ، ط3 ، بيروت.

يا "دجلة الخير" نحـــنُ الممتلـــين غنـــىً بنـــا انعطـــافٌ علـــى مـــلآنَ مفتقِـــر

والله لـــو أُوهَـــبُ الـــدنيا بأجمعهـــا ما بعـــتُ عـــزّي بـــذُلِّ المتـــرَفِ البطِـــر

قالوا يظُّنون بـــي شـــيئاً مـــن الصِـــغَر فقلت فيهم وبـــي شـــيءٌ مـــن الصَّـــعَرِ(*)

رثيـــت للعقـــرب اللّـــدغى جبلّتُهـــا لفرط مـــا حُمِّلـــت سُـــمّاً علـــى الإبـــر(1)

وصحيح أن الجواهري وهو يعبّر عن همه الخاص, ولكنّه يعبّر أيضاً عن الهم الإنساني العام, وأشواق الإنسان, ويجمع بين الخاص والعام , الذاتي والموضوعي, في وحدة جدلية لا تقبل الانفصام, تناضل من أجل إلغاء أشكال الاستغلال والاغتراب التي يعانيها الإنسان.

إن المتتبع لحياة الجواهري وغربته, يشعر وكأنه يتحرك في منطقة شـــائكة, وعلـــى أرض مسكونة بالشعر والهموم, وكأنهما متلازمان لا ينفصلان. وقد استطاع الجـــواهري أن يتجاوز بشعره كثيرين من أبناء جيله الشعراء, ليشكل "**حالة شعرية**" بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فمسيرة الجواهري الشعرية تحفل بكل الألـــوان والأشـــكال والأصـــناف والمناســـبات والأحداث, قوامها نحو عشرين ألف بيت, موزعة على أكثر من سبعة عقـــود ونصـــف مـــن الإبداع والتميز(2).

يقول الجواهري عن نفسه:" في داخلي كثير مـــن العناصـــر المتفجـــرة, اعتـــزازي بكرامتي, الثقة بالنفس, والتي تصل حد الغرور أحياناً, كل هذه دمرت جزءاً من حياتي...."(3).

(*) الصَّعَرِ: الكِبْر والزهو.

(1) الديوان,المجلد الرابع,ص 74.

(2) شعبان،عبد الحسين .(1997).الجواهري في عيون أشعاره، ص33.

(3) الجواهري، محمد مهدي ،(1999)، مذكراتي ، دار المنتظر ، ط1 ، بيروت .

فانتماء الجواهري واضحٌ لا يحيد عنه, حيث إنه ينتمي إلى الأمة لا لحزب أو قبيلة أو سلطة معينة, فالشاعر في تصوّره ليس ناطقاً بلسان حال القبيلة, بل بلسان حال أمتــه كلهـــا, والإنسانية بأسرها, فهو أشبه بسحابة تروي العطاشى من كل لون وجــنس ومــذهب, وفـــي استقامة شعره وحسن تمكّنه.

يصفه **طه حسين** بقوله " إنه البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح..."[1].

وفي ذلك دلالةٌ قوية من ناقد متمّرس هو طه حسين على أن الجواهري يمسك بزمـــام القصيدة الكلاسيكية في أزهى عصورها, ولكنه لا يكتفي بذلك , وَفْقَ تصّورنا, بل يمتدُّ للتجديد داخل القصيدة الكلاسيكية بما يتناسب وروح العصر وقضاياه المختلفة.

وهكذا فإننا نرى آراء بعض النقاد بهذا الشاعر وشاعريته الفذة والتـــي لا بــد مــن دراستها دراسة جادة, علّنا نكشف عن بعض جوانبها المشرقة.

---

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري...مسيرة قرن,ص35.

ثانياً: موضوعات الحنين:

يمكن تقسيم الحنين إلى الوطن عند الجواهري إلى ثلاثة أقسام وهي:

1-الحنين إلى الأرض, 2-الحنين إلى الإنسان, 3-الحنين إلى الطفولة والصبا والشباب. وتجدُرُ الإشارة إلى أنَّ هذا التقسيم جاء لأغراض الدراسة فقط, علماً بأن القصيدة الواحدة لدى الجواهري قد تشتمل على عدّة أقسام من الحنين: كالحنين إلى الأرض، والإنسان، والطفولة، والصِّبا، والشباب.

وذلك عائد إلى صعوبة الفصل بين هذه الأقسام, لأن الأرض تحوي الإنسان وذكرياته, ولا يمكن أن يوجد إنسان سواء أكان طفلاً أم يافعاً أم شاباً إلا على أرض ما.

ولا بدّ من الإشارة أيضاً إلى أن قصائد الجواهري هي مطوّلات ونفس الشاعر فيها طويل, لذلك تراه في بعض مطوّلاته, ك "أم عوف" و"بريد الغربة" و"يا دجلة الخير" وغيرها من المطوّلات, يحنُّ إلى كل شيء, بل ويفتح كوّة الذاكرة على وطنه العراق بكل أشيائه ومتعلقاته من طبيعة جميلة: أنهار, جبال, سهول, وغيرها. ويستذكر كل أيامه: طفولته, مَدارج صِّباه, وشبابه.

بل ويمتد إلى ثقافته وحضارته كما في حديثه عن كثير من المناطق التي أسهمت في نقل البشرية من العصور الحجرية إلى عصور الحضارة.

ولكنَّ المجمع عليه من معظم دارسي الجواهري, ومتلقّي شعره من الطبقة المثقّفة, أن قصائد الحنين تعدُّ من عيون أشعاره, وأصدقها وجداناً وحواراً مع الذات, ومن هذه القصائد قصيدته التي مطلعها:

أرح ركابــك مــن أيْــنٍ ومــن عثــرِ كفــاك جــيلان محمــولاً علــى خَطــرِ

كفاك مــوحِشُ دربٍ رُحــتَ تقطعُــه كـــأن مغبـــرَّه ليـــلٌ بـــلا سَـــحَرَ [1]

الحنين إلى الأرض:

الأرض هي مكون أساسي لأي وطن من الأوطان, فعندما يحن الشاعر إلى موطنه فأن أساس هذا الحنين أو الجزء الأكبر منه هو الحنين إلى الأرض وبعدها الطبيعي, بما يتضمنه من عناصر مختلفة ثابتة ومتحركة, كالجبال، والأنهار، والسماء، والأشجار، والسهول، إلى غير ذلك، وذلك لارتباط الإنسان الحميم بالطبيعة والأماكن التي تلقاها منذ طفولته, وشكلت عنده أنواعاً من المشاعر والأحاسيس والأحلام والأخيلة , وبالتالي فهي جزءٌ من كينونة الإنسان ولا يعني الانفصال عنها إلا ضرباً من الموت عند بعض الشعراء, وقد تشكل انفصاماً حاداً وقلقاً ليصبح الحنين إليها والشوق والتوق ضرباً من الشفاء.لقد كانت قرائح الارتباط شديدة بين الإنسان وموطنه, فقد عبر الشعراء عن عاطفة الحب لأوطانهم على مر العصور كلها, وما شعر الوقوف على الأطلال, ومناجاتها إلا شعراً في الحنين إلى الوطن والديار, مختلطاً بالحب والعواطف التي شهدتها هذه الأطلال[2]، وكان المكان الذي يحنّ إليه الشاعر في الجاهلية, مكان السكن والإقامة, أي ما يصطلح على تسميته بالوطن, كان الشعراء يحنون لهذا الوطن, ممثلاً بعناصره المختلفة, مثل: المحبوبة, والجيران, والأهل, ومراتع الصبا, ومجالات اللهو, والصداقة, وعندما تقدمت السنوات, وتحضرت البوادي, وكثرت المدن, أصبحت المدينة هي الوطن, فإن خرج منها الإنسان لسبب من الأسباب, برضاه أو

---

(1) الديوان, المجلد الرابع, ص68.

(2) الجواهري, خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري سيمفونية الرحيل,ص27.

رغماً عنه, انصرف حنينه إلى هذه المدينة التي هي وطنه[1].

ومن هنا كان المكان بعمومه يعبر عن الوطن, فتعلق النـــاس بأوطـــانهم, وأحبوهـــا, وتكفينا هذه اللوحة التي رسمها ابن الرومي للوطن, وأسباب التعلق به[2], فنراه يقول:

ولـــــي وطـــــنٌ آليـــــتُ ألا أبيعـــــه   وألا أرى غيري لـــه الـــدهر مالكـــاً

عهـــدتُ بـــه شـــرخَ الشـــباب ونعمـــةً   بصحبة قوم أصـــبحوا فـــي ظلالكـــا

فقـــد ألفَتْـــهُ الـــنفسُ حتـــى كأنـــه   لها جسد إن بـــان غـــودرْتُ هالكـــاً[3]

ارتسمت الغربة ومعالمها في حياة الجواهري وشعره, وهو الشاعر المنتمي , فعـــاش غريباً ومات غريباً, ودفن غريباً, فقد صحب الغربة في كل مراحل حياته وفي مستقره الـــدائم بعد الرحيل, فبدأت غربته بابتعاده عن النجف أولاً, ثم بمغادرته إلى إيران عام 1941م, وفي مطلع الستينيات بدأت غربته في محطات عديدة وهي غربة قُدّر لها أن تنتهي برحيله, فغـــادر إلى لبنان, ومنها إلى براغ لتكون المحطة المهمة والطويلة لسبع سنوات مـــن 1961م إلـــى 1968م, وصدر له عام 1965م ديوانه "**بريد الغربة**", وقد غادر الجواهري العراق لآخر مرة ودون عودة عام 1980م.

لقد تسابقت البلدان في استقطاب الجواهري وشاعريته مثل مصر, والمغرب, والأردن, ولبنان, وبراغ, لكن الجواهري اختار دمشق التي استقبلت الجواهري بحفاوة وتكريم نادرين, فقد أمضى الشاعر ما تبقى من حياته في دمشق الشام, مكتفياً بأسفار وزيارات, ومنح فيها

---

(1) قباجة,محمد عبد المنعم محمد(2008),الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني(232-334هـــ), رسالة ماجستير, جامعة الخليل, ص129.

(2) ميا,فاخرصالح.(2006).الجواهري شاعر التجديد والثورة, ص 69.

(3) ديوان ابن الرومي. (1424 هـــ - 2003م)، تح: حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية بالقاهرة، الجزء الخامس، ص 182.

أعلى وسام في سورية إلى أن توفي في 27 تموز 1997, ودفن في دمشق التي كرم فيها, وأعطته مستراحاً ومستقراً في حياته ووفاته, وأعطاها هو جوهر شعره وقلائده[1].

وقد تمثَّلَ حنين الجواهري إلى وطنه بصور عديده كان من أهمها حنينه إلى الطبيعة, وطبيعة العراق التي تتميز عن غيرها ليس في نظر الشاعر فحسب, بل لكون طبيعة العراق طبيعة خلابة أثارت خيال الجواهري مثلما أثار خيال معظم الشعراء الذين حرموا منها, وقد ألفينا في شعر الجواهري ذكراً للطبيعة التي تذكّره بأهله وجيرانه, وبمراتع صباه ولهوه وصداقاته, فوصفها وصفاً دقيقاً, فذكر عناصر الطبيعة كالهواء، والسماء، وأغصان الشجر، والأوراق، والفجر، ودجلة، والفرات، والأزهار، والرياض، والصخور, والجبال الثلوج والبلابل[2].

لقد كانت دوافع غربة الجواهري عن العراق شتى , كان بعضها بسبب خصومته مع الحكومات التي ناصبها العداء, وكان بعضها عائداً لمزاجه الشخصي واختلافهِ مع بعض أقرانه في الطبقة المفكرة العراقية الذين لم يكونوا يتبينون التزاماتهم الأخلاقية بالبيان والشفافية التي يريدهم أن يتبينوها, وكان بعضها ينجم عن سخطه من نظام القيم السائد في المجتمع الذي لم يكن هو يجده أخلاقياً على أية حال. ولكن أَيّاً يكن الدافع الذي يدفعه إلى الغربة, فإن هذه الدوافع مجتمعة كانت تأتمر به لتفسد عليه حياته بشعور فظ من فقدان الإحساس بالتجذُر في التربة التي أنبتته، والتراب الذي أحبّه.... [3], وبعده عن دجلة التي لها مكانة خاصة في نفس

---

(1) الجواهري,خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري سيمفونية الرحيل,ص170

(2) العلوي, هادي وآخرون. (1969). الجواهري, دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين. النجف: مطبعة النعمان, ص143.

(3) بتمثّل عن: رضا, محمد جواد. (2003), عراق الجواهري... جواهري العراق, دار الكنوز الأدبية, لبنان, الطبعة الأولى, ص115.

الجواهري فهي في نظره أم بغداد وأصل لها حيث يتفجر شاعرية فيقول:

يــا أُم بغــداد مــن ظــرفٍ، ومــن غَــنَجٍ مسني التبغدُدُ(*) حتى فــي الــداهقين(*)

يـــا أُمَّ تلـــك التـــي مـــن "الـــفِ ليلتهـــا" للآنَ يعبــق عطـــرٌ فـــي التلاحـــين[1]

وليس بالغريب أن تكون دجلة بهذه المنزلة في نفسه لأنه عاش جل أيام عمره على ضفافها وشواطها.

يقول في قصيدته" يا غريب الدار":

يــــا غريــــبَ الــــدارِ لــــم تَكْفَــــلْ لــــــــــــه الأوطـــــــــــانُ دارا

يـــــا "لبغــــداد" مــــن التــــاريخِ هُــــــــــزءاً واحتقــــــــــارا[2]

ونرى في شعر الجواهري كَيف يحتدم الصراع في داخله بين أن يستجيب لهوى نفسه التي تلح عليه في البقاء بين أهله في الوطن ,أو أن يستجيب لداعي الإباء فيغادر الوطن ليعيش بعيداً عنه ملتاع القلب طعين النفس, ولكن بقامة شامخة وهامة مرفوعة, فالصراع الناشب في نفسه والمعبرعنه بالتضاد(يجاذب قلبي, ويأتي المقام) يتمخض عنه في النهاية الانتصار للشموخ، والانحياز للإباء، مع الإبقاء على محبة الوطن, وإن كان ذلك في لهيب الغربة[3], حيث يقول:

أحــــبُّ بــــلاديَ لــــو لــــم أخَــــفْ بهــــا شــــرَّ ذي الغــــدرة الأشــــرسِ

(*) التبغدد: تكلف عادات أ هل بغداد، وأخلاقهم، وطراز معايشهم، وطرف الحياة، والتعامل، والتخاطب.

(*) الدهاقين: رؤساء القرى والمدن المتنفذون وهي فارسية معربة.

(1) الديوان، المجلد الثالث، ص 281.

(2) الديوان. المجلد الرابع، ص9

(3) الجواهري, خيال محمد مهدي.(2004),الجواهري، مسيرة قرن,ص38.

يجـــــاذب قلبـــــي إليهـــــا الهــــوى ويــــأبى المقـــام بهـــا مَعْطِســـي
جَفْــــوني ولا ذنـــــبَ إلا الابـــــاءُ وأن طـــاب مـــن بيـــنِهم مغرِســـي[1]

ويُعَبِّرُ في قصيدة أخرى عن مدّى تعلّقه بأرضه التي تشدُّه إلى رفاقه وتذكّرُه بهم, مازجاً بين حبه للأرض وحبه للأصدقاء في قوله:

لــي فــي العــراق عصـــابةٌ لـــولاهمُ مـــا كـــان محبوبـــاً إلـــيَّ عـــراقُ
لا دجلــــةٌ لـــولاهمُ,وهــــي التـــي عـــذُبت, تـــروق ولا الفـــرات يـــذاقُ
(شـــمران) تُعجبنـــي, وزهـــرةُ روضـــها وهواؤهـــا, ونميرُهـــا, الرقـــراقُ
متكســـراً بـــين الصـــخور تمـــدُهُ فـــوق الجبـــال مـــن الثلـــوج طبـــاقُ
وعليـــه مـــن ورق الغضـــون سُـــرادقٌ ممـــدودةٌ ومـــن الظـــلال رُواقُ
فـــي كـــل غصـــن للبلابـــل نـــدوةٌ وبكـــل عـــود للغنـــا ((إســـحاقُ))[2]

وللحنين عند الجواهري مظاهرُ تبدو في سلوكه ومزاجه, ترى بعضاً منها يبرزُ في شوقه المتوقد إلى الوطن أرضاً وأبناء, بَيْدَ أنه لا يرى جدوى من هذا الشوق لأنه لا يقوده إلى ضالته، ولا ينيله مناه في العودة إليه, ولكن حَسْبُهُ أن يشتاق من مغتربه في قصيدته المعنونة" في طهران":

ما انتفاعي بِغَـيْضِ هـذي الـدُّموعِ والجـــوى مِـــلْءُ مهجتـــي وضُـــلوعي
لا أُحب العِنـاقَ مـن أجـل ذكـرى خَلَّفَتْهـــــا عناقـــــةُ التوديـــــع
لــم أكُــنْ قبــل أن يَحــينَ نــواكُمْ عارفـــاً قَـــدْرَ شـــمليَ المجمـــوع

---

(1) الديوان. المجلد الأول .ص78

(2) الديوان.المجلد الأول.ص199.

قـــد رأيـــتمْ تجلُّـــدي لســـواكمْ فاســـألوا كيـــف كـــان فـــيكم وُلـــوعي[1]

ويبدو الجواهري مبهوراً بجمال الطبيعة وسحرها, يتأملها ويحاورهـا, ويعبـر عـن عناصرها في أجمل الصور,يقول في وصف مناظر الطبيعية من قصيدته المعنونة "غـازي" والتي نشرت في 5 آب عام 1927م,يقول فيها:

ســـهولُ العـــراق وكثبانُـــهُ وروح العـــراقِ وريحانُـــهُ

ودجلـــةُ خمـــراً وشـــهداً تســـيل وزهـــوُ الفُـــراتِ وطُغيانـــه

وصَفصـــافهُ وظِـــلالُ النخيـــل علـــى ضَـــفَّتَيه ورُمانـــه

تحييـــكَ جذلانـــةً طلقـــةً وخيـــرُ الهـــوى الصِـــدقِ جذلانـــه[2]

وقد بدا ظاهراً أن السهر المؤرق من مظاهر شوقه الدائم ,الذي أوصله في النهاية إلى الألم الشديد, والحزن المفرط, الذي يمنع عينيه عن النوم. ويسرق من نفسه الراحة والطمأنينه. وقد شبه الجواهري

نفسه جرّاء هذا الواقع النفسي المرير في صورة محسوسة, إذ شبهها بالضجيج على النار الذي لا يقر له قرار, ويتقلّب على ناره أملاً في مخرج يريحه من عذابها, لكنهـا النـار على كل حال وما التقلب إلا الإقبال على مزيد من الألم, أو على ألم جديد[3] ,فنراه يقول فـي قصيدته"هجرت الديار":

هجـــرتَ الـــديارَ فقلـــتُ العَفـــاء لربـــــع السُّـــــرور وزُوّارِهِ

---

(1) الديوان. المجلد الأول .ص200

(2) الديوان.المجلد الأول.ص226.

(3) العلوي, هادي وآخرون. (1969). الجواهري, دراسات نقدية، ص56.

وبــــت بليـــل لفـــرط الأســـى كَلَيـــل الضـــجيج علـــى نـــاره

وظـــلَّ يحـــنُّ فـــؤاد المشـــوق لـــــذكر الحبيــــب وأخبــــاره

تفـــيض دُمـــوعي بَتـــذكاره زمانـــاً تَقَضّـــى بأوطـــاره[1]

فصورة الوطن لديه تكونت من عناصر حية من محيطه لم يستطع أن ينفـك عنهـا, فالشاعر أكره على مغادرة مرابع صباه , وضاع في المنافي , فلم يَعُد يستشعر طعماً للحياة في الغربة[2], فأخذ يستعيدُ مرابع صِباه المتمثلة في عيون الماء, والينابيع, وقد عَبّـرَ عـن ذلـك بقوله:

إنـي وردت عيـون المـاء صـافية نبعـاً فنبعـاً فمـا كانـت لترويني

يا دجلة الخير شكوى أمرهـا عجـب أن الـذي جئـت أشـكو منـه يشـكوني

ماذا صنعت بنفسي؟ قـد أحقـت بهـا ما لـم يحقـه برومـا عَسْـفُ نيـرون[3]

كلُّ شي يمكن رسمه عند الجواهري, الفرات, ودجلة, والنجف الأشـرف, والأوابـد المنسية, وتاريخ العراق الذي يشهد بالمطر على ولادة الحياة.

ولعّل ما يفّجر منابع الشوق لدى الجواهري دعوته إلى بلده ووطنه, وهو الذي ينبغي أن يدخله مختاراً, ليتم تكريمه بعد مكوثه في المغترب سنوات طويلة ,فمثل هذا الموقف يفجّر شاعرية الجواهري بألوان من الدرر,فيقول في الحفل التكريمي الذي أقيم له مساء الجمعـه 3 كانون الثاني (يناير) 1969م في العراق, على أثر عودته من مغتربه, بعد غياب طال أكثـر من سبع سنوات, وقد ألقى قصيدته (أرح ركابك) عند عودته من براغ. يقول الجواهري:

---

(1) الديوان. المجلد الأول. ص102.

(2) الغبان، محمد جواد(2006). الجواهري فارس حلبة الأدب، ص 28.

(3) الديوان, المجلد الثالث, ص 279.

أرح ركابــك مــن أيْــنٍ ومــن عثَــرِ كفاك جـيلانِ محمـولاً علـى خطـرِ(*)
كفــاك مــوحشُ درب رُحــتَ تقطعُــهُ كأن مغبـرَّه ليـلٌ بـلا سـحَرَ
ويا أخـا الطيـر فـي وِرْدِ وفـي صَـدَرِ في كل يومٍ لَهُ عُشٌ علـى شجـر(*)
عُريــانَ يحمــل مِنقــاراً وأجنـحةً أخـفَّ مـا لـمَّ مـن زادٍ أخـو سَـفَر
بحسـبِ نفسِـك مـا تعيـا النُّفـوس بـه من فـرط منطلـقٍ أو فـرط منحـدر(1)

فهو هنا يشكو من طول الغربة, ويخاطب نفسه ويحضُّها على أن تعودَ إلى مكانهـا, ويشبه نفسه بالطير الذي لا عشَّ له, بل هو عُرْيان من كل شيء لا يحمل سوى منقـاره, أي تغريده (كناية عن الشعر), وأجنحته (كناية عن كثرة الترحال) التي ليس يمكنها أن تحمل شيئاً كثيراً.

ومن قصائده في الحنين قصيدتُهُ الشهيرة: "يا غريب الدار" التي نظمها في براغ عـام 1962م, والتي يقول فيها :

يـا غريـبَ الـدارِ كـم نبـ (م) ـعٍ تطـامى ثُـمَّ غـارا
غيـرَ نبـعٍ كلَّمـا فجْـ (م) جَرْتـه داراً فـدارى
يـا غريـب الـدار لا تـأْ (م) ـسَ وإن ضِـقْتَ اصـطبارا
خُلِقـتْ عينـاك كـي تـع (م) ترفـا النـوم غِـرارا
وضـميرٌ راح مـن جسـ ـمك يمـتصُّ اعتصـارا(2)

(*) الأين:التعب والإعياء.
(*) الوِرْد:هو أن تَرِدَ المياه لتشرب منها,والصَدَر:هو أن تصدر عنها–أي ترجع–بعد ذلك.
(1) الديوان,المجلد الرابع,ص68.
(2) الديوان, المجلد الثالث, ص279.

فالشاعر يبث حنينه إلى وطنه, ولوعته من غربته التي يحسبها دون طائل ولا غايــة, ثم ينعطف للسلام على تلك الديار وأهلها بلغة ترقُّ، وتلطُفُ، وتُعذُبُ, ولكن في داخلها النيران المتوقّدة شوقاً من غريب أعيتهُ كل الطرق التي سلكها للرجوع إلى وطنه الحبيــب, فبــاءت بالفشل.

يــا نــازحَ الــدار نــاغِ العُــود ثانيــةً	وجُــــسَّ أوتـــارهُ بــــالرِفْقِ واللـــين
لعـــلَّ نجــوى تُـــداوي حـــرَّ أفئـــدة	فيهـــا الحـــزازاتُ تَغلـــي كـــالبراكين
وعـــــلَّ عقبـــــى مناغـــاةٍ مُخففَّـــةً	حمّــــى عنـــاتر "صـــفين" و" حطـــين"
ويا صـــدى ذكريـــاتٍ يســـتثرن دمـــي	بهِـــزّةٍ جمّـــةِ الألـــوانِ تعرونـــــي
أشكو المـــرارة مـــن إعنـــاتِ جامحـــةٍ	منهـــا إلـــى ســـمحةٍ بـــرٍّ فتُشـــكينني[1]

لم يفتقر الجواهري إلى فكرة نبيلة تشغفه حباً فيطير خلفها بجناحين من خيال وعطش لكأنه يجد فيها معراجه فوق ظلمات الروح التي كانت تحاصره[2], فقد عَبَّرَ عــن ذلــك فـــي قصيدته بعنوان" حنين" والتي نظمت في أواخر عام 1949م, حيث يقول:

أحــــنُّ إلــــى شَـــبَحٍ يَلْمَـــحُ	بعينَـــــــــيَّ أطيافُـــــــه تَمْــــــــرَحُ
أرى الشَّمْسَ تُشْـرِق مـن وجهِـهِ	ومـــــا بـــــين أثوابـــــه تجـــــنح
رضـــيَّ السّـــماتِ, كـــأنَّ الضَّـــمير	علـــــى وَجْهِـــــهِ ألقـــــاً يَطْفَـــــح[3]

لقد عاش الجواهري في براغ جحيم الغربة ونعيم الحرية, يقول الجواهري"....كانــت براغ الذهبية, مدينة الأبراج والجمال, صحيح أننا دفعنا أثماناً باهظة من كرامتنا المهانة, ومن

---

(1) الديوان, المجلد الثالث, ص288.

(2) رضا,محمد جواد.(2003),عراق الجواهري...جواهري العراق,ص112.

(3) الديوان,المجلد الثالث,ص33.

شماتة الشامتين, وتشفّي المتشفين, ولكننا مع جفاف الغربة, كسبنا حريتنا وحلاوة الحياة"[1].

ومن براغ كتب الشاعر للوطن أجمل الأشعار, ولم يلهه جمال الحُورِ وطيب المقام عند أصدقاء الشعب العراقي والشعوب العربية عن تذكر محنة الوطن, فكتب عام 1962 م قصيدةً تكاد تكون من أجمل ما نظمه الجواهري في شعر الحنين للوطن تلك القصيدة هي (يا دجلة الخير) والتي يبث فيها حنينه لوطنه ورمزه الخالد نهر دجلة، منادياً إياه بأداة النداء المخصصة لنداء البعيد, فكأنه يصرخ بحنينه من براغ إلى العراق محيياً نبعه الذي شرب منه, ولمّا يُرتَوِ لتركه إياه على كراهة, ذلك المنبع الذي لم يغنه عنه كل الانهار وعيون الماء التي شاهدها[2].

إذ يقول فيها:

حييت سفحك عن بعد فحييني	يا دجلةَ الخير يا أمَّ البساتينِ
حييت سفحك ظمآناً ألوذُ به	لَوْذَ الحمائم بين الماء والطّين
يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه	على الكراهة بين الحين والحين
إني وردت عيون الماء صافية	نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني
يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا	حتى لأدنى طماح غير مضمون
لعل يوماً عصوفاً جازماً عرماً	آتٍ فترضيك عقباه وترضيني..[3]

ونرى الجواهري في آخر بيت تتضح لديه الرؤية المستقبلية لحال العراق وحاله فهو

---

(1) الجواهري, محمد مهدي. (2011). الأعمال الشعرية الكاملة, دراسة وتقديم: عصام عبد الفتاح, القاهرة, الجزء الأول, ط1، ص 8.

(2) الجواهري, خيال محمد مهدي.(2004), الجواهري، مسيرة قرن, ص48.

(3) الديوان المجلد الثالث، ص 280.

يرجو ويأمل أن يأتي ذلك اليوم المشهود العظيم الذي يعود فيه إلى العراق فيهنأ ويرضى,وقد تخلَّص العراق من حُكّامه الذين يحولون بينه وبين العودة لوطنه.

لقد بقي الوطن مزروعاً ومنغرساً في قلب الجواهري يحرك مشاعره الجياشة تجاه هذا الوطن الذي حُرم منه, وعاش معظم حياته في المنفى, فصور الجواهري الـوطن بأشـعاره تصويراً صادقاً لمعاناته الطويلة وصراعه مع فقده لوطنه الذي أحبه .

وقد ظهر ذلك الحنين في غير ما مكان, وبخاصه في براغ التي لم تُنسه وطنه رغـم جمالها واعترافه بذلك الجمال في الرّسالة التي بعث بها إلى صديقه محمد الأعرجي :"بـراغ هي ما عهدتَ, إن الخريف يُلبسها حُلةً جديدةً من الجمال:جمال"التقلبات" من حال إلـى حـال, جمال التحرك السريع، والدائب. ومع هذا, بل ومن أجل هذا, فكاذبٌ من قال لك: إن سحراً من بيان مزعوماً, وحكمةً من شعر موهومةً تستطيع أن تعبر عن مدى عمق جروح الوحدة فـي نفسي, وعمق أكل الوحشة من روحي....[1]".

وقد نظم من براغ قصيدته "يا غريب الدار" عام 1962م والتي يُظهر فيهـا شـوقه المتوقّد بداخله ولا يكاد يستطيع كتمانه رغم أنه ترك الأهل والأصحاب والديار مجبراً, واتخذ الغربة داراً له , وحجته بذلك أنه رأى ذل العيش الذي لا يكون إلا بالمداراة والمهادنة التـي تأباها النفس الحرّة, إذ يقول:

مَـنْ لهـمٍّ لا يُجـارى ولآهـاتٍ حَيـارى
ولمطـويٍّ علـى الجمـ (م) ـرِ سِـراراً وجهـارا

---

(1) الأعرجي, محمد حسين. (2002). الجواهري دراسة ووثائق, ص415, ص416.

طالبـــــاً ثـــــأراً لــــدى الْدهـــــــــــــــــــــرِ الـــــذي يطلُـــــبُ ثـــــارا

مَـــــنْ لنـــــاءٍ عـــــافَ أهـــــ (م) لاً وصـــــــــــــحاباً, وديـــــــــــارا

تَخِـــــــــذَ الغربـــــــــة دارا (م) إذ رأى الـــــــــــذل إســــــــــارا

إذ رأى العـــــــــيش مـــــــدارا ةَ زنـــــــــيمٍ لا يُـــــــــــــدارى

مـــــن لســـــتينَ انْطَـــــوَتْ مِثْـــــ ل دمِ العبـــــــــــــد جُبـــــــــــارا[1]

لقد جاشت قريحة الجواهري في ديار غربته المريرة بقصيدته الشهيرة: " يا غريب الدار" التي تتدفقُ منها الآهات الحائرة, وتطفح عليها الهموم الجائرة, مع أنه يحيا في أكناف (العزة) التي وفَّرها له مُضيِّفوه في (براغ), ولكنَّ إحساسه بالبُعد عن أهله وصحبه ووطنه يجعل من تلك (العزة) التي يعيشها جحيماً لا يُطاق, ولكنَّه تحمَّلَ كل أعباءَ تلك الغربة وتبعاتها وعواقبها, لأنه رفض أن يعيش أسيراً في وطنه لدى كل وغد زنيم من المتسلطين على ذلك الوطن[2].

وقد نظم الجواهري قصيدته"يا دارة المجد" في براغ عام 1963م, وهو يُظهر فيها حنينه ومشاعرة الجياشة تجاه وطنه الذي حُرم منه, وفيها يتغنى الجواهري ببغداد، ويذكر أمجادها التاريخيّة, مشيراً إلى دلالات الأمكنة الحضارية التي ميّزت وطنه العراق، ويصفها بأنها دار المجد والعلا والسلام[3], حيث يقول:

يـــــا دارةَ المجـــــد ودار الســـــلامْ بغـــــدادُ يـــــا عقـــــداً فريـــــدَ النظـــــامْ

---

(1) الديوان. المجلد الرابع. ص5.

(2) الغبان, محمد جواد(2006),الجواهري فارس حلبة الأدب,ص190.

(3) الديوان.المجلد الرابع. ص324.

يـــا أم نهـــرينِ استفاضـــا دمـــاً ونعمـــة مـــن عهـــد ســـام وحـــام

مـــن عهـــد ســـنحاريب إذ نينـــوى يتـــــوَّج الحكمـــــة منهـــا النظـــــام

وعهـــــدِ حمــــوراب إذ بابــــلٌ يكــــون بالأحكــــام منهـــا احتكـــام

شِــــعارها الشـــمسُ وعُنوانهـــا ســــــنابل القمـــــح وعـــــدلٌ يقـــــام

وبرجهـــا يحضـــنُ كـــلّ اللُّغـــى وســــحرها يجــــذب كـــلَّ الأنـــام[1]

لقد تعلق الجواهري بــ (وطن حلم) كوطن ابن الرومي, وطن رؤيا وليس وطن واقع, وطن ينسجه خيال الشاعر كما تنسج خيوط الفجر رؤى الصبح البازغ من ظلمات الليل[2]. فها هو الجواهري يصف بغداد في الصباح ويصفها بأجمل اللوحات الفنية في قصيدته" رباعيات معنونة ب"بغداد" في الصباح...

حيث يقول:

صــــفَّقَ الـــديكُ وقـــد زعزعـــه الفجــــــرُ وألـــــوى بالصـــــياحِ

ومشــــى النـــورُ علـــى الحقـــلِ وفــــوقَ الـــدرب يزهـــى والبطـــاح

آه مــــا أروع" بغـــداد" وأحـــلا هــــا علــــى ضَــــوْءِ الصـــباح

غَسَــــلَتْ كــــفُّ الســـنا كـــلَّ الجراحـــاتِ بهـــا حتّـــى جِراحـــي[3]

ولعل النجف قد غرست في نفس الجواهري حب الشعر. إن معجزة الكلام وسحره لا سبيل إلى توضيحها[4], وكون النجف مسقط رأسه, والنجف مركز ثقافي وحضاري أسهم في

(1) الديوان.المجلد الرابع. ص324.

(2) رضا,محمد جواد,(2003),عراق الجواهري...جواهري العراق, ص37

(3) الديوان. المجلد الثالث. ص245.

(4) ميا, فاخرصالح.(2006). الجواهري شاعر التجديد والثورة, ص16

تشكيل ثقافة الكثيرين ومنهم الشاعر, الذي تُشكل قصيدته مَعْلماً من معالم عَرَاقتها بوصفها " مدينة حفظت العربية من الضياع في العهد التركي, واستمرت على هذا التقليد الذي يمتزج فيه الطقس الديني بتاريخ الاعتراض السياسي"[1], فها هو يذكرها في شعره ويحن إلى البيت الذي كان يقيم فيه حيث يقول:

ويــا مقــيلاً علـــى غربيَّهـــا أبـــداً	ذكـــراهُ تَعطِـــفُ مـــن عـــودي وتَلـــويني
عُشٌّ الأهازيجِ من سَـجعي يُردّدهـــا	ســـجعُ الحَمـــامِ وترجيـــعُ الطـــواحين
وسِـــدرةٌ نبعُهـــا خضْـــدٌ, وســـاقيةٌ	وباســـقُ النخـــلِ معقـــوفُ العـــراجين
ومُسْـــتَدقٌّ صـــخورٍ مـــن مآبرهـــا	رؤىً تَطـــلُّ علـــى الحـــالينِ تُشـــجيني[2]

والمقصود بـــ"المقيل على غربي دجلة" هو البيت الذي كان يقيم فيه الشاعر عدة سنين في جانب الكرخ, وهو يطل إطلالة رائعة على دجلة في أوسع دوائرها, ومن أجمل مواقعها, وفي هذا العش الجميل قضى الشاعر أجمل وأهنا فترة مرت عليه من حياته, جمعاً للشمل, ورغداً في العيش, ووفرة في الإنتاج هي في جملتها عيون من أشعاره[3].

ويبدو على الجواهري مسحةُ الأسى والألم , فنراه يستصرخ بالألم الذي يعتصرُ قلبه على التشتت والضياع والغربة من دون وطنه, فهو يشتاق لكل شيء في بلده: يشتاق إلى الريح, إلى الوطن, والدار, وإلى ماء الفرات, ويبدو ذلك واضحاً في قصيدته " الذكرى المؤلمة" وهي من قصائد الشاعر عند تركه للعراق لأول مرة مصطافاً في ايران...ويتشوق

---

(1) فاطمة, المحسن, محمد مهدي الجواهري آخر الكلاسيكيين وحامل لواء البلاغة وحافظ أختام العربية, مجلة نَزْوى, مقالة منشورة على الإنترنت, ص24.

(2) الديوان.المجلد الثالث.ص288.

(3) الديوان.المجلد الثالث.ص288.

للعراق ,حيث يقول:

أقـــول وقـــد شــــاقتنيَ الــــريحُ ســــحرةً　　ومَـــنْ يـــذكرِ الأوطـــانَ والأهـــل يَشْـــتَقِ
ألا هـــل تعـــود الـــدار بعـــد تشـــتُّتٍ　　ويُجمَـــعُ هـــذا الشَّـــملُ بعـــد تفـــرُّق
وهل ننتشي ريـــحَ العـــراقِ وهـــل لنـــا　　ســـبيلُ إلـــى مـــاء الفـــرات المصـــفِّق
حبيـــبٌ إلـــى ســـمعي مقالـــةُ "أحمـــدٍ"　　"أأحبابَنـــا بـــين الفـــرات وجِلَّـــق"[1]

بين شعر الحنين والتغنّي بجمال الطبيعة صلة عميقة وقوية تؤدي إلى التمازج والتداخل, لقد سحرت الطبيعة ألباب شعراء العراق, ودفعتهم إلى التغني بجمالها وروعتها, وهم على ربوعها حيث ملاعب الصبا, وموطن الذكريات, فإذا ما ابتعدوا عنها ألهبت الغربة مشاعرهم, وفاضت قرائحهم بالشوق والحنين إلى أرض الوطن ومن حلَّ به من الأهل والأحباب, ومن هنا مزج الجواهري بين شعر الطبيعة والحنين .

فنرى الجواهري يتغنى بفرات العراق وشمس العراق, حتى إنه يعدّها أجمل شمس تشرق في أي مكان آخر, فشاعرنا غريب عن بلاده وعن خيرات بلاده, فيتغنى بشعاع الشمس الذي يشرق على شط الفرات, ويصف النخيل كيف أنه مُلتف على ضِفاف النهر, ويذكر السفح والموج وسنا الشمس, ويتمثل ذلك في قصيدته "يا فراتي" التي نظمها عام 1924م, إذ يقول:

إي وعـــيشٍ مضـــى عليـــك بَهـــيٍّ　　وشُـــــعاعٍ مـــــن شـــــطِّكَ الـــــذهبيِّ
والتفـــاف النِّخيـــل حولَـــكَ حتَّـــى　　لـــو تقصَّـــيْتَ لـــم تجـــدْ غيـــرَ فـــيِّ
وانبســـاط السَّـــفْحِ الَّـــذي زاحمتـــه　　دَفَعـــــاتٌ مـــــن مَوجـــــكَ الثَّـــــوْريِّ

---

(1) الديوان.المجلد الأول.ص148.

وسنا الشَّـــمس حـــين مجَّـــتْ لُعابــا   أرســــــلته مــــــن نورهــــا الكســـــرويِّ[1]

وتتجلّى لنا صورة أخرى من صور الجواهري في العراق وفي وصف دجلة, فنراه في قصيدته " من دفتر الغربة" يتغنى بسفوح دجلة, و بطينة دجلة لشدة تعلقه بوطنه الذي فقده, حتى إنه شبه الضفاف كأنها نهر من العطر. يقول الجواهري:

ضــــــموا صـــــــفوفَكُمُ ولُمُّـــــوا   مجــــــــداً إلــــــــى مجــــــــد يُضَــــــمُّ

وتكـــــاتفوا يــــــنهضْ بِكُــــــمْ   جَبَـــــــلٌ يــــــلاذ بــــــه أشــــــمّ

يــــا غاديــــاً لسُــــفوح دجلـــــة   حيـــــــثُ طينتهـــــــا تُشَـــــــمُّ

حيـــــث الضـــــفاف بكـــــوثَرٍ   عِطــــــــرٍ قُــــــــراحٍ تَسَــــــتحم[2]

هكذا يتَّضِحُ أن الحنين للأرض عند الجواهري يشمل الأرض، والتراب، والسهل، والجبل، والنهر, والرمال, وكل شيء يقع على هذه الأرض,فترى الجواهري يحنّ إلى كل شي في وطنه المحروم منه, حتى إنه يشتاق إلى كثبان الرمال والسهول, ويشبه نهر دجلة بالخمر والفرات بالشهد الذي يسيل ويطغى, ويشتاق إلى ظلال النخيل الموجودة على ضفاف دجلة الفرات, حيث يقول:

ســــــهولُ العـــــــراقَ وكثبانُــــــهُ   ورَوحُ العـــــــــراقِ وريحانُـــــــــهُ

ودجلــــــةُ خمــــــراً وشَــــــهداً تســــيل   وزهـــــــوُ الفُــــــراتِ وطُغيانــــــه

وصَفصــــــافهُ وظِــــــلالُ النخيـــــل   علـــــــى ضَـــــــفَّتَيه ورُمّانـــــــه

---

(1) الديوان.المجلد الأول.ص127.

(2) الديوان.المجلد الثالث.ص262.

تحييـــــــــكَ جذلانـــــــــةً طلقـــــــــــةً   وخيـــــرُ الهـــوى الصِـــدقِ جذلانـــــه[1]

(1) الديوان.المجلد الأول.ص226.

الحنين إلى الإنسان:

جُبل الإنسان على الأنس بالآخر, ولعل كلمة الإنسان لم تَأتِ إلا من هذه الطبيعة المستكنة في هذا الكائن, فالإنسان لا يعيش وحده, وإنما هو يرتبط بغيره من الأناسي بدءاً من الوالدين، وأفراد الأسرة، وأفراد الحي، والجيرة, وانتهاءً بكل من يتصل معه الإنسان على نحو قريب أو بعيد, وهذا يعني أن فقدان الإنسان لهؤلاء الناس الذين تعلق بهم وارتبطت حياته بحياتهم ومشاعره بمشاعرهم وتاريخه بتاريخهم, من شأنه أن يفجّر طاقة الحنين والشوق إلى هذا الغائب الذي يظلُّ حاضراً في القلب والروح.

فالحنين إلى الماضي عند الشعراء له أسباب مختلفة وهو منبعث من عوامل وأسباب كثيرة, كالعوامل الشخصية, والسياسية, والاجتماعية, والعاطفية, وغيرها[1].

إن الإنسان عند الجواهري يتحدث عن المصير والصراع لإثبات ما هو أصيل , عن الولادة والموت, عن كل مقومات الحياة التي تشكل جوهر الإبداع الفني بمعناه الحقيقي لتذليل الصعوبات والشعور بالكرامة الإنسانية المغتنية بالخبرة الحياتية التي تجسد واقع الحياة وأحزانه وآلامه[2].

أما حالة الجواهري فالأمر جدّ مختلف لأنه عانى من الغياب القسري عن وطنه , ويبدو ذلك واضحاً من خلال شعره المفعم بالحزن والأسى. وترى الجواهري يتوجد ويشتعل من بعيد ويبُث حنينه وأشواقه إلى أحبابه وأصحابه في قصيدته المعروفة"من دفتر الغربة" التي

---

(1) الخليلي, مها روحي إبراهيم. (2007). الحنين والغربة في الشعر الأندلسي "عصر سيادة غرناطة: 635–897 هجرية, رسالة ماجستير, جامعة النجاح الوطنية, ص97.

(2) ميا, فاخر صالح. (2006). الجواهري شاعر التجديد والثورة, ص17.

بدأ الشاعر نظمها عام 1962م ,في براغ وأكملها أواخر عام 1972 وأوائل عام1973م في بغداد, إذ يقول:

مـــن بعيـــد لكُـــم يحِـــنُّ حنينـــي وبـــــذكراكمُ تثُـــــار شــــجوني
وإذا مــــا خَطَــــرتُمُ خَطَــــرَ اليــــأ سُ وســــاوى تَيَقُّنــــي بظُنــــوني
يــــا أحبــــايَ..والليــــالي عجيبــــا تٌ عِجــــافٌ يــــأكُلنَ كــــلَّ سَــــمين
وبنو الــدهر يمخــرون علــى أثبــــــ ـــــاجِ[*] غَيــبٍ مُحمَّــلٍ بالسَــفين[1]

كانت الغربة على الجواهري قدراً مقدوراً، ولو كانت له الخيرة في الأمر لمــا ظــلّ يقتلع جذوره من الأرض التي أحب، والناس الذين ساقاهم كأس المحبة في أزمنــة الرخــاء، وشاطرهم أوجاعهم في أزمنة العسر؛ حتى إذا انجلَت الغمة، وذهب الحزن، وأترعت أكــؤس السعادة نسيه الناس أو تناسوه، وهو هو على حبه لهم وشغفه بهم لا يعاتب، بَلْهَ أن يحاسب إذ كان يحتسب ذلك عند نفسه كفاءً عدلاً للحب[2], فنرى الجواهري يقول في ذلك:

يــــا غريــــبَ الــــدار لــــم يُخْــــ ـلِ مـــــــن البهجـــــــةِ دارا
لــــم يــــدعْ طيفــــاً يواســــي مقلـــــــــةً إلّـــــــــا أزارا
يمــــنح الشــــجوَ الثكــــالى وشــــذا الحــــبِّ العَــــذَارى
يــــا نــــديماً يعصــــر الخَمْــــ ـرَةَ لــــــــيلاً ونهـــــــارا
ويُســــاقي مــــن دمِ القلْــــ ـبِ أخــــا الهــــمِّ عُقــــارا[*]

(*) الأثباج: أعلى الأمواج.

(1) الديوان.المجلد الثالث. ص347.

(2) رضا, محمد جواد. (2003), عراق الجواهري...جواهري العراق, ص 116، ص 117.

(*) العقار: الخمر

تأخـــــــذ النشـــــــوةَ منــــــــه   ثـــــــم تتســـــــاهُ السُّـــــــكارى[1]

ونرى الجواهري يتوجد على الأصدقاء ويُظهر حنينه لهم, وقد بدا عليه الألم والحُرقة من الغربة والفراق, ففي قصيدته "بين الأحبة والبدر", يقول:

لـــئن شـــكر الصـــبح المحبـــون إننـــي   شكرت الدجى إذ كان مـــا بيننـــا ســـترا

وليـــل رثـــى لـــي والأحبـــة نـــوّمٌ   له مقلة بالشـــهب مـــن لـــوعتي عبـــرى

بكيت فـــرقَّ الـــنجمُ لـــي وهـــو صـــخرةٌ   إلـــى أن جـــرت منـــه مجرتـــه نهـــرا

ومـــا لِـــيَ صـــدرٌ ينفـــث الهـــم زفـــرة   ولكنـــه الهـــم الـــذي ينفـــث الصـــدرا[2]

ونرى الجواهري يبُث مشاعره وحنينه إلى بعض أصدقائه حين تواتيه الفرصة, كما في قصيدته إلى صديقه السيد عبد اللطيف الشواف جواباً على رسالة وهدية, أرسلها الشاعر عام 1962م, والقصيدة بعنوان "أبا زيدون" , حيث يقول:

أبـــــا "زيـــــدونَ" مـــــا أحلَـــــى   معانيـــــكَ, ومـــــا أطـــــرى

لقـــــد أوحشـــــنا بُعـــــدُ   ك لـــــولا نعمـــــةُ الـــــذِكرى

أبـــــا "زيـــــدونَ" والـــــدنيا   يمـــــازجُ حُلْوُهـــــا المـــــرّا

ســـــنبقى طـــــولَ أعـــــوامٍ   جِفـــــافٍ نســـــتقي شـــــهرا[3]

فنرى الجواهري في هذه الأبيات يخاطب صديقه أبا زيدون يقول له ما أجمل كلامك وما أحلى معانيك, والجواهري هنا يفتقد صديقه حتى إنه يحنُّ إليه بسبب الغربة ولكنه يسترجع ذكرياته معه، ويعدُّ الذكرى نعمةً تُصبره على معاناته وآلامه.

---

(1) الديوان. المجلد الرابع .ص5

(2) الديوان,المجلد الأول.ص75.

(3) الديوان,المجلد الثالث.ص335.

ويبدو الحزن وآثار الغربة واضحة على الجواهري , وتبدو مشاعره الحزينه والجياشة تجاه وطنه وأصدقائه وهو يتوجد عليهم وعلى بعده عن وطنه , فنراه يحمل مسؤوليةَ بعده عن وطنه إلى الدهر, فنرى ذلك في قصيدته" بعد الفراق" التي نظمت عام 1925م, وهي من قصيدة طارح بها صديقه, ويتشوق بها إلى العمارة, حيث يقول:

خليليَ سلِّ القلــبَ عــن هــذه البلــوى ونـــاجِ فـــإنَّ الهـــمّ تدفَعـــهُ النّجـــوى

ألا لـــو وجـــدنا عـــن أذانـــا مُحاميـــاً أقمنا على الدهر الــذي ضــامنا الــدعوى

ســـل الفَلَـــكَ الـــدوارَ يرفـــقْ بســـيره فإنـــا بَلغْنـــا لـــلأذى الغايـــةَ القصـــوى

نـــأتْ دجلـــة عنـــي وبانـــت ضـــفافُها وأبعد ذاك الروضُ ذو المنبــتِ الأحْــوى

فواللَّـــهِ لا أقـــوى علـــى مـــا تَهيجُـــهُ لقلبي من الــذكرى ويــا ليتنـــي أقــوى[1]

أمّا قصيدته" يا دجلة الخير" فهي أشبه بلوحة فَنية مرسومة للحنين, حيث يحنُّ فيها لأصحابه الذين افترق عنهم, حتى يبدو وهو في عمر الستين, وكأنهُ نيّف على التسعين, إذا لمح طيفاً من أطياف أصحابه يغمض عينيه لكي يراهم. كما في قوله:

ويا ضـــجِيعي كـــرىً أعمـــى يلفُّهمـــا لـــفَّ الحبيبـــين فـــي مطمـــورةٍ دُونِ

حسبي وحسبُكما مـــن فرقـــةٍ وجـــوىً بلاعـــجٍ ضَـــرمٍ كـــالجمر يكـــويني

لـــم أعْـــدُ أبـــوابَ ســـتين, وأحســـبني همـــاً وقفـــتُ علـــى أبـــواب تســـعين

يـــا صـــاحبيَّ إذا أبصـــرت طيفكمـــا يمشـــي إلـــيَّ علـــى مهـــلٍ يحيينـــي

---

(1) الديوان,المجلد الأول.ص163.

أطبقتُ جَفناً على جفنٍ لأبصِرَه حتى كأنَّ بريقَ الموتِ يغشيني[1]

وشوق الشاعر يموج في داخله ولا إرادة له على كبحه, حتى إنه يشرب الخمر حتى ينسى الحزن الذي هو فيه ويفرح ولكن من دون طائل, فيقول الجواهري في قصيدته" يا نديمي":

يانديمي: إنَّ الدجى وضَحا والهزارَ الغافي هناك..صحا

يا نديمي: وصُبَّ لي قدحا ألمِسُ الحزنَ فيه والفَرَحا

وأرى : مِن خِلالِهِ شَبَحا من نثارِ الهمِّ الذي طَفَحا[2]

نرى الجواهري وهو يبثُ أشواقه وحنينه إلى أصدقائه الذين لا يستطيع العيش دون تذكُّرهم, بل إن قلبه العصيَّ على القياد يلين قيادُه عند ذكرهم, حيث يقول:

أحبّاي حَتَّامَ أصبو لكم مَعيفٌ, ويذكركم من نُسي

ألا هل أتاكم بأني متى تَدُرْ كأس حبّكم أحتس

وأنّيَ كالليل بادي الهموم وأنّيَ كالنجم لم أنعس

ولي قلبُ حرٍّ عصيُّ الزمام فإنْ راضه حبُّكم يسلس

وكم ليلةٍ بِتُّ في عزلةٍ ومن طيب ذكراكمُ مجلسي[3]

حتى إن شوق الجواهري واشتياقه الدائم لوطنة يتغلغل في داخله وينبثق ولا إرادة له على كبحه, حتى إذا هَجَم ذلك الشوق لا تسعفه كلُّ محاولاته لإخماد جذوته, ولا تُساعده على إطفاء نيرانه إلا بهروبه إلى شرب الخمر, ليعيد استذكار ذلك الماضي الذي كان يجمعه بلداته

---

(1) الديوان.المجلد الثالث .ص289.

(2) الديوان. المجلد الثالث. ص301.

(3) الديوان. المجلد الأول, ص77.

إلى النجوى والسمر, والكاس والوتر[1] فيقول:

يا سامرَ الحـــيِّ بـــي شـــوقٌ يرمِّضـــني　　　إلى اللِّذات, إلى النجوى, إلى السَّـــمر
يا سامرَ الحـــيِّ بـــي داءٌ مـــن الضَّـــجَرِ　　　عاصاه حتى رنينُ الكـــأس والـــوتر[2]

---

(1) الجواهري, خيال محمد مهدي. (1999), الجواهري سيمفونية الرحيل, ص178.
(2) الديوان. المجلد الرابع. ص69.

الحنين إلى أيام الطفولة والصِّبا:

تعد مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في حياة الإنسان,فهي الركيزة الأساسية والمرحلة الأبرز والأخطر في حياته, وفيها تنطبع معظم الصور بأنواعها المختلفة في الذهن والنفس على نحوٍ لا تمحى أبداً. والإنسان مهما كبر فإنه يظل مشدوداً إلى هذه المرحلة بمتعلقاتها الإنسانية والاجتماعية والتعليمية وغير ذلك.

وتبرز أهمية هذه المرحلة عندما يمتد عمر الإنسان ويطول, فيصبح الحنين إليها ومحاولة استرجاعها بمثابة نوعٍ من الدفاعِ عن النفس , وأسلوب في مواجهة الفناء والموت.

لعل الحنين إلى الطفولة من أكثر الحالات الشعورية التي تحس بها الذات الإنسانية كونها حالة تتولد جراء استذكار الذات الإنسانية لفقدها ما تعتز به سواء على المستوى المادي أو المعنوي. ومن بين أبرز مظاهر الحنين هو الحنين إلى الطفولة والصبا والشباب ذلك أن هذه المراحل تمثّل أجمل المراحل العمرية[1].

ويتمثّل هذا الشوق والعودة تمثلاً جليّاً عند بعض الشعّراء العرب المعاصرين. والسّبب لهذه العودة هو أن الإنسان بطبعه يودّ لو يسترجع الماضي ويحييه إذ "للماضي نكهة خاصة عند الإنسان لا سّيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله وأخذ الاغتراب بخناقه, فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ يرتاده الشاعر فراراً من الألم والتماساً للراحة وإن كانت في الحلم والخيال"[2].

---

(1) راضي جعفر. (1999). الاغتراب في الشعر العراقي المعاصرة، مكتبة الأسد الوطنية، اتحاد الكتاب العرب, ص52.

(2) فهمي ,ماهر حسن,الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث,ص59.

ونرى أن حنينه يزداد ويشتعل لأيام الصبا, فيشكو إلى أم عوف ما يلقاه من ذلك الحنين إلى تلك الحقبة فيقول:

يـــا "أم عــوفَ" وكـــاد الحلـــمُ يَســلُبنا   خيـــرَ الطبـــاع وكـــاد العقـــل يُردينـــا

خمســـونَ زُمَّـــتْ مليئـــاتٍ حقائبُهـــا   مـــن التجاريـــب بعْناهـــا بعشـــرينا

إذ نحـــنُ مـــن هـــذه الـــدنيا ضـــراوتُها   وإذ مغـــاني الصـــبا فيهـــا مغانينـــا

ولا نعـــــاني طويّـــــات معقـــــدةً   كمـــا يَحُـــل تلاميـــذٌ تمارينـــا[1]

وهو في هذه القصيدة يفتح كوَّةً على ذكريات الطفولة والصِّبا وأحلامهما:

يا "أم عوف" وقد طـــال العنـــاءُ بنـــا   آهٍ علـــــى حقبـــــة كانـــــت تعانينـــــا

آه على أيمـــن مـــن ربـــع صـــبوتنا   كُنَّـــا نجـــول بـــه غـــرَّاً ميامينـــا

كانـــت تجـــدُّ لنـــا الأحـــلامُ حاشـــيةً   مذهوبـــةً كلمـــا قُصَّـــت حواشـــينا[2]

فالآهات والحسرات على مغاني الصبا والشباب والعبث والليالي العذاب والمرح يصبه في قالب وجداني مغلَّفٍ بأسى عميق تكاد تنفطّر له نفس الإنسان. ثم يتابع آهاته وتوجّعاتهِ على ذهاب أيام الصبا , يوم كان أغلى حُلم للإنسان هو أن يلعب مع لداته, وأغلى أمنية له أن يطير فرحاً بملعب أو ضحكة, أو أغنية يغنيها مع أصدقائه, يقول:

آه علـــى حـــائرٍ ســـاهٍ ويُرشـــدنا   وجـــائرِ القصـــد ضِـــلِّيلٍ ويَهـــدينا

آه علـــى ملعـــب–أن نســـتبد بـــه   ويســـتبد بنـــا أقصـــى أمانينـــا

مثـــل الطيـــور ومـــا ريشَـــتْ قوادمنـــا   نطيـــر رهـــواً بمـــا اســـطاعت خوافينـــا

---

(1) الديوان.المجلد الثالث .ص149–150.

(2) الديوان.المجلد الثالث.ص150–151.

من ضحكة السَّحر المشـبوب ضـحكتنا ومــن رفيــف الصــبا فيــه أغانينــا[1]

ونرى الجواهري في قصيدته" يا أحبائي"التي نظمت عام 1922م,

يـــا أحبّـــايَ وإن حـــال الـــوداد وذوى غصـــن الصِّـــبا وهـــو رطيـــبْ

فلكـــم مـــا بـــين أضـــلاعي فـــؤاد حظُّـــــه مـــــنكم عـــــذابُ ووجيـــــب

فســـقى دمعـــيَ لا صـــوبُ العهـــاد زمنـــاً مـــرَّ ولـــم يـــدرِ الرقيـــب[2]

ونجد الجواهري يستعيد بعض ذكرياته في طفولته, وفي صباه وفي يفاعه في مدارج "النجف" و "الحيرة" ومنعطفات الفرات وجزره, وفي رملة " الكوفة" وملاعبها, ويتذكر الصور الشاخصة منها والباهتة على حد سواء. ففيها خفق أشرعة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية–ومنها أسرة الشاعر–تنتقل إلى"الجسر"وهي المدينة الجميلة الرابضة على شواطىء الفرات والمسمّاة بهذا الاسم. وفيها تعريج على شقائق النعمان التي ما تزال حتى اليوم تنتشر بكثرة في وديان الحيرة ومساحيها منسوبة الى النعمان نفسه,حيث يقول في قصيدته" أرح ركابك":

ويـــا ملاعـــب أترابـــي بمنعَطـــفٍ مـــن الفـــرات , إلـــى كوفـــانَ فـــالجُزُرِ

فالجسرُ عن جانبيــه خفْــقُ أشــرعةٍ رفّافـــةٍ فـــي أعـــالي الجـــوّ كـــالطُّرَر

إلى " الخورنق"بـاق فـي مسـابحه من ابـن مـاء السـما مـا جـرَّ مـن أُزُر

تلكـم "شـقائقه" لـم تـأل ناشـرةً نـــوافج المســـك فضّـــتها يـــد المطـــر[3]

ويبدو على الجواهري التحسر على ماضيه, ويشبه الصبا بالينبوع ويشبه الشباب

---

(1) الديوان.المجلد الثالث .ص149.

(2) الديوان، المجلد الأول، ص 100.

(3) الديوان.المجلد الرابع.ص70–71

بالزهر ويتجلّى ذلك واضحاً في قصيدته" يا خيالي ", والتي نظمت عام 1964, حيث يقول:

يـــا " خيـــالي" :إن الصِّـــبا يَنبـــوعُ   وغَضـــــير الشـــــباب زَهْـــرٌ يَضـــــوعُ

لك من ذا وذاك ألطــف مـــا أضــــــ   فَـــتْ ســـماءٌ ومـــا أفـــاض ربيــــع[1]

ونرى الشاعر يخاطب "أم عوف" ويشكو لها طول البعد والغربة , وهو غريب عن بلاده وبعيد عنها رغماً عنه , ولكن ما يصبره على هذا البعد والغربة هو تذكر أيام الطفولة والصبا, فهذه الذكريات تساعده على الصبر والمكابدة، وتحمل مرارة هذه الغربة والفراق, فيقول:

أ "أبـــــا هُـــــــدى" شـــــــوقٌ يُلـــــــحُّ ولا عـــــــجٌ يُـــــــذكي العافـــــــا

شـــــــوقَ المُبـــــــارحِ لـــــــم يغيّـــــــره البعـــــــادُ، ولا تجـــــــافى

وهـــــوىً يضـــــجُّ كعاصـــــفٍ   يتوعّـــــد الشـــــجرَ اقتصـــــافا

يصـــــــفيك محـــــــضَ وداده   حـــــــرٌّ يُصـــــــافي إذ يُصـــــــافى[2]

ويبدو الجواهري في قصيدته" سلام على أرض الرصافة" شديد الحسرة على الصبا وعلى شبابه الذي ذهب , فنراه يتذكر صباه الذي كان في العراق, ويفتخر بأن العراق بلاده, وأنها كانت وطن صباه وشبابه, وفيها لبس لباس العز, فيقول الجواهري في قصيدته والتي نشرت في مجلة "العرفان" الجزء الخامس من المجلد الثامن في شباط عام 1923م:

---

(1) الديوان.المجلد الرابع.ص23.

(2)الديوان، المجلد الرابع، ص 76

صبوتُ إلى أرض "العراق" وَبَرْدها إذا ما تصابى ذو الهوى لربى نجدِ

بلاد بها استعذبتُ ماء شبيبتي هوىً ولبست العِزَّ بُرداً على بُرد

وصلتُ بها عُمرَ الشباب وشَرْخَه بذكرٍ على قربٍ وشوقٍ على بعد

بذلت لها حقَّ الوداد رعايةً وما حفظ الودّ المُقيمَ سوى الود(1)

يبدو جلياً حنينه إلى وطن الصبا، وأيام الصبا، والأماكن التي كان يصبو اليها هي أجمل من أي مكان آخر, فنجد ذلك في قصيدته" استعطاف الأحبة" التي نشرت عام 1922م, فيقول:

كلُّ ما في الكون حبٌّ وجمالُ بتجليك وإن عزَّ المنالُ

بُسط النور فكم ثائرِ بحر هادئاً بات,وكم ماجت رمال

ورياضٌ ضاحك الزهرَ بها ثغرك الصافي وناجاها الخيال

وسهولٌ كاد يعرو هَضْبَها نزقٌ من صبوةٍ لولا الجلال

عيشنا غضٌ وميدان الصبا فيه مجرىً للتصابي ومجال(2)

ونجد الجواهري في قصيدته " ذكرى الوئام" والتي نظمت عام 1921م, يحن إلى الصِّبا وأيام الصِّبا. ويشكو حزنه وهمه في الليل, فهو يتذكر صِّباه ويعود إلى الماضي ويحن إليه في الليل, فيقول:

وليلٍ ذكرتُ به صبوتي فعُدْت إلى الزمن الأولِ

تجردت عن تَبِعات الجدود وبتُّ عن الغير في معزلِ

(1) الديوان.المجلد الأول.ص112.

(2) الديوان.المجلد الأول.ص90.

قست شُهُبُهُ عـن شـكاة الهـوى وحـدّقن شـزراً ولـم تحفـل

أبُـثُّ لهـا هـمَّ عَصْـرٍ مضـى فتبسِـمُ عـن عصـريَ المقبـل(1)

ويبدو جلياً على الجواهري في قصيدته "بغداد" الألم والحسرة على أيام الصِّبا والطفولة, فعندما يتذكر الشاعر أيام الصِّبا تُذكِّره بوطنه الذي حُرم منه, فتُهيج مشاعره وأحاسيسه تجاهه, حيث يقول:

خِـذي نفـسَ "بغـداد" إنّـي بعثـتُ لـكِ الهـوى عَرضـاً وطُـولاً

يـذكّرُني أريـجٌ بـاتَ يُهـدي إلـى لطيُمـه الـريح البلـيلا

هـواءَكِ إذ نهـشٌّ لـه شـمالاً ومـاءكِ إذ نصـفّقه شَـمولا

يُلاعبهـا الصِّـبا فتخـال كفّـاً هنـاك تـرقّصُ الظـلَّ الظّلّـيلا(2)

وها هو الجواهري يتوجد حرقةً على أصدقائه والأيام التي قضوها معاً, ويتذكر أيامه مع اصدقائه في بغداد, وقد ذهب الجواهري إلى تمثل معاني الصداقة وحنينه إلى أصدقائه في قصيدة "النجوى والتي نشرت عام 1924م " فيقول:

خليلـيَّ إنَّ ادِّكـار الصّـبا يُهـيِّج مـن عيشـنا مـا نَسِـينا

هَلُمّـوا رفـاقي فهـذا الضـياء سينشـرُ أعمالَنـا إنْ طُوينـا

أبـنْ أيُّهـا البـدرُ كيـفَ النَّجـاة وأيـنَ اقْتُنِصْـنَا , وأنَّـى رُمينـا

وكيـف اسـتحال صـفاءُ الربيـع همومـاً تصـاحِبُنا مـا بَقينـا(3)

---

(1) الديوان.المجلد الأول.ص80.

(2) الديوان.المجلد الأول,ص172.

(3) الديوان,المجلد الأول.ص130.

الفصل الرابع

الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري: دراسة فنية

مدخل.

أولاً : لغة الجواهري.

ثانياً: بينة القصيدة الجواهرية.

ثالثاً: بلاغة قصيدة الجواهري.

رابعاً :ظواهر لغوية وأسلوبية في قصيدة الجواهري.

1-التكرار.

2-التناص.

3-النداء.

4-التضاد.

الحنين إلى الوطن في شعر الجواهري: دراسة فنية

مدخل:

يَشغلُ الشَّاعر محمد مهدي الجواهري مكانة رفيعة بين شعراء العربية, فهو امتداد لشعراء الأمة العظام الذين خلدهم التاريخ على اختلاف عصورهم, وهو من أكثر شعراء العربية براعة في المحافظة على بناء القصيدة الشكلي, مع قدرته العظيمة على طرح مضامين حديثة تنفي عنه صفة الخضوع للنمط التقليدي في البناء الشِّعري, وتجعله ضمن الشِّعراء المعاصرين بكل ما تعنيه المعاصرة من دلالة[1].

وثمة أمرٌ مهمٌّ في لغة الجواهري, فهو من جهته يحافظ على النمط الكلاسيكي في قصيدته العمودية, ولكنه من جهة أخرى يجدد في مضامينه الشعرية, ولعّل الأعجب من ذلك أن معجم الجواهري ربما ينتمي إلى معجم الشعراء العباسيين, أو من هم أقدم من العباسيين من فحول الشعراء, ولكّنه يطوع هذا المعجم (مفرداته) من خلال سياقات تواصلية لا تُشعر القارىء بغربة اللغة أو بصعّوبتها. إذن، فالسياق الشعري الذي ينتهجه الجواهري هو الذي يدفع دماء المعاصرة في القصيدة, ولذلك تجدهُ ينقلُ القصيدة الكلاسيكية نقلةً فنيةً ونوعية سواء في اللغة أو الصياغة أو الأسلوب[2].

يُعد الجواهري من أكثر الشعراء إلماماً وغراماً باللغة بعد المتنبي. فمعرفته باللغة العربية ليست آتية من المعاجم وحدها, من حيث دقة المعنى وسلامة الاشتقاق, إنما من خلال الوصول إلى الجذر الأول للكلمة, ثم نَفْض ما يعلق بها من غبار, ودفعها إلى الهواء والنور

---

(1) هذا الرأي أفدته من مشرفي الأستاذ الدكتور بسام قطوس, خلال نقاشاتنا في شعر الجواهري.

(2) غالب, علي ناصر(1995), لغة الشعر عند الجواهري, اطروحة دكتورا, جامعة البصرة,ص6.

لتبدأ حياتها في سياق تواصلي جديد. إن اللغة على لسان الجواهري تبدأ رحلة جديدة, فالمفردة رغم غرابتها بعض الأحيان, إلا أن النسغ الحي الذي تمتلىء به يجعلها قادرة على أن تكون جديدة باستمرار. وهذا, بالتحديد, ما يجعل شعره, بمقدار ما يبدو وثيق الصلة بالعصر, فإنه, في الوقت نفسه, استمرار عضوي للشعر العربي في أبهى عصوره, حتى ليبدو الجواهري وكأنه خِدْنٌ للمتنبي وأبي تمام[(1)].

لغة الجواهري

لغة الجواهري الشعرية, وشعره, ليس فيهما الجمال المصنوع أو الزخارف المستعارة. ففيهما لغة البداوة, والجمال الطبيعي, إضافة إلى شيء من الخشونة وبعض التقشف, الأمر الذي يقتضي جهداً من أجل التعامل معها, لكن ما إن يدخل المرء عالمه حتى يصبح مأخوذاً, وربما أسيراً لهذا العالم. وهذا ما يفسر أن الكثير من شعره يتردد على ألسنة الناس, خاصة في العراق, كما يتردد شعر المتنبي على ألسنة العرب منذ أن قال المتنبي شعره إلى الآن[(2)].

وقد حرص الجواهري على القديم من الشكل, ولم يجد في نفسه حاجه إلى الخروج على تفاصيل الأوزان المعروفة, كما أنه التزم القوافي الواحدة في سائر قصائده, ولم يلجأ إلى تعدد القوافي مع مراعاة الوزن إلا في قصائد محدودة, ومنها (أفروديت) و(أتينا).

ولعل في حرصه على القديم من الشكل صيحة ونداء إلى المتأدبين من الأحداث في أيامنا هذه والداعين إلى الخروج على " عمود الشعر", فكأنه أراد أن يقول لهم: ينبغي أن يبقى للفن أدواته وأسبابه, وألّا يغفل جيلنا الجديد وسيلة من وسائل التعبير وآلة من آلاته صلحت

---

(1) السَّامراني, إبراهيم,لغة الشعر بين جيلين,دار الثقافة,بيروت, ص ص114–116.

(2) الجواهري، خيال. (1999). الجواهري وسمفونية الرحيل, ص ص231–232.

لأداء كثير من خلجات النفس في عبارة موجزة تغني كثيراً عن الترسل والإسهاب(1).

وقد كان للجواهري كل هذا بعد أن أجهد نفسه وأتعبها في التّمرس بالكلمة المفردة, والاستمتاع بسحرها, ولها في ذهنه وروحه مكان خاص يقف منه موقف الانفعال والإعجاب, فهو يعرف الكلمة وتعرفه وينطلق بها فيصبح منها عنصراً مخالطاً كالماء والخمرة, كالدم المطابق منقولاً إلى الدم, وكلقاح الشجرة محمولاً إلى شجرة أخرى.

وقد أجهد الجواهري نفسه وأتعبها وقرأ كثيراً وحفظ كثيراً وأعجب بالذي قرأ وحفظ, واتخذ من هذا كله مادة يضيفها إلى تجاربه في معالجة الكلمة ومعاناتها وهو يتوجه إلى الأدباء الناشئين ليحفزهم على انتهاج السبيل الشاق في التهيؤ للأدب والاضطلاع بالفن فهو يقول:" من خال منكم سهولة التعبير فليرجع إلى صوابه".

إن الكلمة النافذة الصالحة الباقية هي تجربة قاسية, ومراس متمكن, ومعاناة شاقة, وإدراك عميق, وحس مرهف, وهي إلى ذلك كله قدرة على التحويل والتطوير, وعلى ملاشاة المزيج بحيث يبدو صرفاً خالصاً, إنها قدرة على الخلق والإبداع.

ولقد جاء هذا الفصل من الدراسة الفنية لتشكيل رؤية حول لغة الشاعر أولاً بوصفها أداةَ فنه الشِّعري, وثانياً بنية القصيدة عند الجواهري , معتمدة ديوانه الشعريَّ الصادر عن دار العودة, الطبعة الثالثة عام (1982) كونه المصدر الأساس في هذا الفصل, وفي غيره من الفصول.

ثانياً: بنية القصيدة الجواهرية:

---

(1) السَّامراني,ابراهيم, لغة الشعر بين جيلين, دار الثقافة,بيروت,ص114–ص116.

أشار الباحث حسن ناظم إلى "أن الحنين عند الجواهري يقترب في رؤيته من الحنين الذي أُنتج ضمن رؤية أدب المهجر". ولكن تفرُّد الجواهري يقعُ في تحليل نقديّ يمزج بين ظرفية القصيدة بالقصيدة نفسها, لكي تتضح روح الجواهري وطبيعة ردود أفعاله ومواقفه في الحياة والسياسية.

وقد مرت فترة على رفض الجواهري وثورته وتمّرده على واقع العراق السياسي، لم ترحم الرَّفض ولم تتهاون مع الرّافض, واتخذت أشكالاً من التنكيل الناعم والقاسي, عبر الحقبة الملكية حين كان موظفاً في البلاط الملكي أيام الملك فيصل الأول, والحقبة الجمهورية التي عالجها بمواقف متباينة تراوحُ بين الرّفض والقبول, والنفور والتصالح, والتمرُّد والمداهنة[1].

يقول الناقد محمود أمين العالم: "إن البنية الكلاسيكية لشعر الجواهري لا تبعدنا قيد نبضة فنية واحدة عن الهنا والآن لا بمضامينها وحدها, وإنما بهذه البنية الكلاسيكية نفسها لهذا الشعر"[2].

إن ما يميز الشاعر بشكل عام هو إمساكه بتقنية الكتابة بلغة عصره, التي تختلف بين زمن وآخر, ورغم أننا نستمتع بغزليات جميل بثينة مثلاً, إلا أنها لم تعد تلبي جو عواطف هذه الأيام, فلكل عصر جديد لغته الجديدة, ورغم أن الجواهري تمسك بالشكل الكلاسيكي للقصيدة إلا أنه لونه بحداثة الفكرة ومفردات العصر, مما جعل قصيدته تحتفظ بشكلها التقليدي وبفكرتها الجديدة[3].

---

(1) السامرائي، إبراهيم وآخرون (1973)، سلسلة ديوان الشعر العربي، ديوان الجوهري، عدد 33، مطبعة الأديب البغدادية، إصدار وزارة الإعلام، بغداد، ص 30.

(2) مجلة المعرفة السورية, (1995), العدد385, تشرين الأول, ص 38–39.

(3) ميّا, فاخر.(2006),الجواهري شاعر التجديد والثورة,ص35–36.

إن الجواهري شاعر مؤتلف ومختلف في الوقت نفسه, فهو مختلف , أولاً, في اتجاهين:

الأول: بالقياس إلى الشعر التقليدي في زمنه, والذي وصفه الشيخ باقر الشبيبي بأنه, في أوزانه وقوافيه, أثقل من الجبال وأوعر من الصخور, بينما قصائد الجواهري تهز الأرواح وتثير النفوس, وحسبها أن تكون معلماً يملي عليك فلسفة الحب ومعنى الوطنية ودقة الوصف[1].

ثانياً: إن الجواهري مختلف يالقياس إلى شعر الحداثة بعد الاختراق الذي أحدثه السياب والبياتي ونازك وأدونيس.... من الرواد في بنية القصيدة العربية وشكلها البصري. لكن الجواهري, مؤتلف في إطار الحداثة على نهج أبي تمام والمتنبي, في أن يكون الشعر ممثلاً في جوهره لروح العصر في موضوعاته وبالصيغ التعبيرية الملائمة, أي انه الشعر النَّمام عن الشعور[2].

وقد ظل الجواهري شديد التمسك بالصيغة الكلاسيكية التي تتمثل في (عمود الشعر) ولم يخرج عن ذلك إلا في محاولات محدودة, لكنه من جهة أخرى راح ينوع الأساليب داخل الأسلوب الواحد[3].

ويريدون بـــ (الشعر العمودي):"هو الشعر العربي القديم والشعر الذي يسير على نهجه في العصر الحديث, وهوشعر يعتمد على وحدة البيت وانقسامه إلى شطرين أو مصراعين,

---

(1) الجواهري,خيال محمد.(2004). الجواهري مسيرة قرن,ص67.

(2) السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 30.

(3) الجواهري,خيال محمد.(2004). الجواهري مسيرة قرن,ص68

الأول يسمى صدراً والثاني عجزاً"[1].

فشعر الجواهري أمينٌ على كنوز الشعر الكلاسيكي العربي, شكلاً وموروثاً وإيقاعاً, وسار على خطى من سبقوه في تناول سائر أغراض الشعر العربي في المديح والغزل والهجاء, لكنه شعر ينطوي على حداثة تاريخية وفنية عبر عنها بانتمائه لكل مستجدات الحياة وانحاز بكل قوة قصيدته لتيار التقدم البشري، وما يجعل الحياة أقل قسوة وظلماً وعتمة[2].

الشعر عند الجواهري كالمدينة والقصائد كالبيوت, ورغم التواصل الحضاري في المدن والبيوت, فإن لكل مدينة خصوصيتها وشخصيتها وتفردها ونمط حياتها ومزاجها. ولكل بيت حرمته، وخباياه، وفسيفساؤه، والوانه، ورائحته، ونساؤه، وبخوره، وعطره. والشعر عند الجواهري, كالنهر، والقصيدة مثل النساء بجدائل أو بدونها, تستحم في نهر الجواهري, متشابهة أو مختلفة, مثل الشواطىء والجزر ومياه السواحل, لكل قصيدة مذاقها، وجمالها، وطعمها، مثلما لكل بحر سفنه، ومراسيه، ونكهته[3].

---

(1) مطلوب, أحمد. (1960), دراسات بلاغية ونقدية,دار الرشيد للنشر,منشورات وزارة الثقافة والاعلام, الجمهورية العراقية,ص393.

(2) الجواهري,خيال محمد.(2004). الجواهري مسيرة قرن,ص81.

(3) شعبان, عبد الحسين.(1997),الجواهري جدل الشعر والحياة,ص101.

المطلع:

لما كانت القصيدة العربية القديمة في العصور المتقدمة تُبنى صوتياً أي حسب قافيتها أو رويّها كما في قولهم: يقول المتنبي من قصيدته (الميمية) أو (الدّالية) أو (النونية) ....الخ, أو تُبنى على المناسبة, فتصبح المناسبة عنواناً لها أحياناً, أو تُبنى على الموضوع, كأن يقال : قال فلان يمدح أو يلهو أو يرثي ...الخ, فقد أخذ المطلع دوراً في بنية قصيدة الشاعر, فقد طالب النقاد العرب القدامى بتحسين مطالعهم لتكون قويّة تَشدُّ الأسماع, وتستميل الأفئدة لتشكل حالة جذب وإغراء لمتابعة القصيدة[(1)].

ولعلَّ أوّل ما يطالعك في بنية القصيدة عند الجواهري هو عنوانها, فالعنوان أوّل عتبة تواجه الدّارس, وعليه أن يقوم بدراسته واستنطاقه, وبخاصّة أن العنونة ظاهرة حديثة قلّما أعتنت بها الشعرية القديمة[(2)].

إن قارىء عناوين الجواهري وبخاصّة في شعر الحنين يلحظ أنها قلّما تُلغزُ أو ترمزُ إلا في القليل النادر, فهي تكاشفُ بموضوعها كما في عنونته (يا دجلة الخير) أو (يا غريب الدار) أو (يا ابن الفراتين). وقد يلجأ إلى بعض الرّمز ولكنه الرمز الموحي والمعّبر عن الموضوع نفسه مثل عنونته (بريد الغربة) أو (أرح ركابك) أو (من بريد الغربة).

وقد جرى الجواهري على سنة الأقدمين في قوّة مطالعه, وقدرتها على الجذب وشدَّ الانتباه, وتحسين المطالع, فكان يبني "مطلع" قصيدته بقوّة, ويوفّر له قوّة اللغة, وقوّة التعبير,

---

(1) انظر: قطوس,بسام.(2002). سيمياء العنوان, طبع بدعم وزارة الثقافة والإذاعة بمناسبة عمان عاصمة الثقافة العربية, ص34.

(2) بتمثّل عن: قطوس,بسام.(2002). سيمياء العنوان, ص ص33-34.

كما في عديد المطالع مثل قوله:

حيّيـــت ســـفحك عَـــن بُعْـــدٍ فحيّينـــي   يـــا دجلـــةَ الخيـــر يـــا أم البســـاتين[1]

وقوله:

مـــن بعيـــد لكُـــمْ يحِـــنُّ حنينـــي   وبـــــذكراكمُ تثُـــــار شـــــجوني[2]

وقوله:

يـــا " أمَّ عـــوفٍ " عجيبـــاتٌ ليالينـــا   يُـــدنينَ أهواءَنـــا القُصـــوى ويُقصـــينا[3]

وقوله:

أرحْ ركابَـــك مـــن أَيْـــنٍ ومـــن عَثَـــرِ   كفاك جـيلانِ محمـولاً علـى خطـرِ[4]

فهو يوفِّر لمطالعه القوّة والفخامة, ويبعث فيها قوّة الإيقاع من خلال ظاهرة "التَّصْريع" وهي المساواة بين تفعيلتي العروض والضرب وزناً وقافية"[5].

ويقصد الجواهري التصريع لأسباب ثلاثة: أولها: شد القارىء إليه وأخذ انتباهه, وثانيها منع ترهل القصيدة, وثالثها إغواء إلهامه آناء كتابة القصيدة, خاصة وأن الترنم هو ديدنه في النظم, فالتصريع يقوم غاوياً للإلهام في ترنم كتابة القصيدة ويقوم غاوياً للمتلقي في ترنم الإلقاء.

---

(1) الديوان.المجلد الثالث,ص279.

(2) الديوان.المجلد الثالث,ص347.

(3) الديوان.المجلد الثالث,ص148.

(4) الديوان.المجلد الرابع,ص68.

(5) عتيق, عبد العزيز. (1987). علم العروض والقافية, دار النهضة العربية – بيروت. الطبعة الثانية, ص102.

ويرتبط المطلع بالموضوع ارتباطاً وثيقاً, حيثُ يُنْبىء عن موضوع القصيدة وهو الحنين, بشكل فني وجمالي يتعدى إضاءة النص ليصبح مركز توجيه له, وبما يجعل العلاقة بين الافتتاح وموضوع القصيدة الأساسي علاقة وحدة وارتباط.

وقد دعا ابن رشيق القيرواني إلى أن تكون القصيدة حسنة الافتتاح فقال: "حُسن الافتتاح داعية الانشراح ومظلة النجاح.......وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصقُ في النفس لقرب العهد بها, فإن حسنت حسن, وإن قبحت قبح, والأعمال بخواتيمها"(1).

ويرى ابن رشيق أيضاً أن " الشعر قفلٌ أوله مفتاحه", ويعلق الدكتور حميد لحميداني على هذا القول قائلاً " تتميز العلاقة بين هذه العناصر " مفتاح وقفل" بأنها ذات طابع تلازمي, فلا يكون قفلٌ بدون فتح ولا إقفال, كما أنها في نفس الوقت علاقة تراتبية: المفتاح أولاً, والقفل ثانياً, والإقفال ثالثاً"(2).

وكأن المطالع تختزن كل ما يريدُ الجواهريُّ قوله أو إيصاله من رسالة للمتلقّي. فمطلع القصيدة بعد العنوان, كلاهما يأخذك إلى غرضه الحنينيِّ, ويتميز بالفخامة وعنف الموسيقا وجلجلة الصدى, وصَخب العنفوان الذي يجعل لكل قصيدة من قصائده في الحنين إلى الوطن, دويها الهائل وصداها العنيف الذي لم يستطع أن يمنعه مانع ويحول بينه حاجز من أن يجلجل في آفاق الشعر, في مشرق الدنيا ومغربها. ففي مطلعه:

---

(1) القيرواني, ابن رشيق, (1994),العمدة في نقد الشعر, تحقيق محمد قرقزان,دار المعرفة بيروت, ط2, ص388.

(2) لحميداني, حميد.(1997), الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم(العصر الجاهلي), مطبعة النجاح الجديدة, البيضاء, ص92 .

حيّيــــت ســــفحك عَـــن بُعْـــدٍ فحيّينـــي يـــا دجلـــة الخيـــر يـــا أم البســـاتين[1]

نلحظ أهمية هذا المطلع الذي اختاره الجواهري لقصيدته, حيثُ يأتي مكثفاً, لمضمون القصيدة,وأبعادها ولا سيما البعد النفسي الذي يسيطر على الجواهري, فيدفعه الشوق والحنين إلى أن يحييّ السَفْحَ على الرُّغم من أنه جمادٌ، وهذا أول انزياحٍ إلى عالم الشعر.

ومما يزيدُ في شوقه لِلقاء موطنه, إلقاؤه التحية عن بعد, والأصل في التحية أن تأتي من خلال اللقاء, وهو أمر يبعث في نفسه الحزن والأسى, وحتى يخفّف من هذا الحزن, يطلبُ من الجماد مبادلته التحية لأنه فقد الأمل بالأحياء.

فالشاعر هنا يجسد من خلال المطلع طبيعة المأساة التي يعانيها وهي مسألة البعد عن الوطن, وهذا البعد هو الذي جعله يطلب التحية من الآخر وكأنه يشك في كونه يُلقي التحية على موطنه فيطلب الرد, وهذا من شأنه أن يُحدث نوعاً من التوازن النفسي. وهو حين يخاطب دجلة, يدرك أنها تُشكل رمزاً عنده للعراق كله, وتأتي كلمة الخير التي وصف فيها دجلة للتعبير عن رؤيته الخاصة لهذا الوطن, وأنه الأم الحانية, والأم المعطاءة, والأم المرضعة والمطعمة.

و في مطلع آخر, تحسُّ بذلك التعب الذي يداهمه من الغربة, يقول:

أرحْ ركابَـــك مـــن أَيْـــنٍ ومـــن عَثَـــرِ كفاك جـــيلانِ محمـــولاً علـــى خطـــرِ[2]

فالمطلع يكشفُ عن مضمون القصيدة: فهو يخاطب نفسه مطالباً إيّاها بأنْ تُريح ركابها بعد معاناة وطأة التغرب والتشرُّد عن الوطن طيلة سبع سنوات متواصلة. كان فؤاده خلالها

---

(1) الديوان.المجلد الثالث,ص279.

(2) الديوان.المجلد الرابع,ص68.

ينزف شوقاً, وينزُّ حباً بعد غربة موجعة قاسية. فيكشف مدى معاناته في غربته وفي بعده عن موطنه مما يلاقيه من الحلِّ والترحال والتعب وتعثره في أثناء مسيره ليبدأ قصيدته بهذا الحوار الداخلي في قوله "أرح ركابك" لأنها فرصة لا تُتاح له دائماً فهو لا يجد الراحة إلا في موطنه, أما خارج الوطن فليس الراحة هناك سوى التعب والمسير الدائم, فالوطن عند الجواهري هو موئل الراحة، وملجأً للسعاده والأنس، أما الغربة فلا تمثل إلا الوحشة والحياة العاثرة.

وقوله في قصيدته" يا ابن الفراتين":

يا ابن الفراتين قــد أصــغى لــكَ البَلَــدُ زَعْمــاً بأنَّــكَ فيــه الصــادِحُ الغَــرِدُ[1]

يبرز في هذا المطلع ما عهدناه فيه من عنف، وعنفوان وشموخ، وتعاظم, فهو يزهو بنفسه, وتشعر بكبريائه، وجبروته واعتداده بنفسه.

وهكذا نلحظ قدرة الجواهري على تكثيف إحساسه النفسي في البيت الأول الذي يُشكّل مطلع القصيدة. وهذا المطلع بكثافته وقوّته يستدعي سائر الأبيات.

---

(1) الديوان.المجلد الرابع.ص88.

الخاتمة:

كذلك اشترط القدماء تجويد الخاتمة في القصيدة, لأنها آخرُ ما يعلق في ذهن القارىء, وجاء اهتمام الشعراء بأواخر قصائدهم, لأنها آخر ما يبقى في ذهن السامع. فقد اهتم النقاد كثيراً بما ينبغي أن تكون عليه نهاية القصيدة لأنها آخر ما يبقى من الأسماع, "لأنه إذا كان أول الشعر مفتاحاً له, وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"(1), لذا يجب أن تكون نهاية القصيدة مناسبة للغرض الذي نظمت من أجله, وتكون الخاتمة أجود أبيات في القصيدة.

وقد نالت الخاتمة بوصفها الإيذان بانتهاء القصيدة حظاً يسيراً من اهتمام النقاد القدامى, إذ وقفوا عند هذه الركيزة الهامة من ركائز القصيدة وأهميتها هي:

1- تأكيد أهميتها على مستويي الإبداع والتلقي على السواء، يقول ابن رشيق مثلا : "وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يتبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً لا يمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه"(2).

2- استئثار كل ناقد بمصطلحه الخاص في تسميتها فابن رشيق يسميها (الانتهاء) كما يشير نصه السابق ، ويسميها القاضي الجرجاني (حسن الخاتمة)(3).

وقد اهتم الجواهري بخواتيم قصائده , ليخرجها بصورة عفوية تلقائية من أعماق نفسه, لتعبِّرَ عن مكنونات ذاته تعبيراً صارماً وجازماً. فيه ثقه كبيرة, وفيه قراءة لمستقبل

---

(1) القرواني, ابن رشيق, (1994), العمدة في نقد الشعر, تحقيق محمد قرقزان, دار المعرفة بيروت, ط2, ص388.

(2) القيرواني, ابن رشيق , (1943) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, الدار البيضاء. ط1, ج1: 239 .

(3) قحطان, رشيد صالح (2004), الخاتمة في شعر المتنبي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع1، 28 .

الجواهري الشعري , وفيه اطمئنان لذلك المستقبل.

قوله:

سِــــرْ علـــــى نهجِــــكِ كـــــالخرِّ يــــــتِ[*] بـــــالنجمِ اســـــتنارا[1]

فقد أجاد الجواهري في ختم قصيدة "أرح ركابك", التي أبدع في مطلعها وأبدع في ختمها, فهو يدعو نفسه للسير على نفس النهج والصمود عليه بثقة وفخر بنفسه, كالدليل الذي يستنيرُ بالنجم الموجود بالسماء. فأي خاتمة أجمل من هذه, حين ضمّت الثبات والصمود والشموخ.

وقوله في خاتمة قصيدته بعنوان " بريد الغربة":

ســـــلاماً كُلُّــــهُ قُبَـــلُ كـــــــــــأنَّ صــــميمها شُـــعَلُ[2]

وقوله في ختام قصيدة "المحرقة":

ذممـــتُ مُقــامي فـــي العـــراقِ وعلَّنـــي متى اعتزمْ مسرايَ أن أحمَدَ المســرى

لَعلـــي أرى شِـــبْراً مـــن الغَـــدرِ خاليـــاً كفاني اضطهاداً أنني طالـــبٌ شِـــبْرا[3]

فالجواهري في تلك القصيدة يتوجع مما هو فيه من ألم ومرارة, ومعاناة لا يعرف وطأتها إلا من كان يحمل رهافته وإحساسه وفكره وطموحه وتمرده, ويختتمها بذم مقامه في وطن لا يعرف له قيمة ولا قدراً, ويرى جهاته وأجواءه تمتلىء بالغدر والخديعة, حتى إنه لم

(*) الخرّيت: الدليل.

(1) الديوان.المجلد الأول,327.

(2) الديوان.المجلد الرابع.ص11.

(3) الديوان.المجلد الرابع.ص30.

يجد شبراً واحداً خالياً من غدرهم, وكفاه يأساً وضجراً وألماً وبرماً أنه لم يطلب إلا شبراً واحداً خالياً من المضايقة والغدر, ليتنسم فيه عبير الحرية.

ثالثاً: بلاغة قصيدة الجواهري:

لقد عرف العرب كتابي أرسطو(فن الخطابة) و(فن الشعر) إلا أنهم لم يتفاعلوا مع تعاليمهما, إذ إن كتابه (فن الخطابة) فن للإقناع ويتحدث عن التأليف الخطابي, كما أن كتاب (فن الشعر) يتحدث عن أنواع شعرية مركبة وصعبة يجهلها العرب, مثل: المأساة والملهاة والملحمة, ولذلك أهملوا تقسيمات الكتابين وتحليلاتهما, واهتموا بدراسة الجوانب البلاغية التي تجلي جوانب الإعجاز القرآني, باحثيين في فنونها موضحين أقسامها.

فمفهوم البلاغة عند النقاد العرب ارتبط بالأسلوب ارتباطاً وثيقاً, خاصة في المرحلة التي بدأ ينظر فيها إلى البلاغة على أنها وصف للكلام الذي يمتاز بخصائص وسمات معينة.

لقد كان البلاغيون العرب أكثر اهتماماً بمصطلح البلاغة, فوضع له كثير من التحديدات, أشار بعضها إلى أن المقصود به "الإيصال والإبلاغ", فهي "إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع, ولذلك سميت بلاغة", وإلى مثل هذا يذهب أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين", إذ يقول: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن".

أما السكاكي فقد رسخ مباحث علم البلاغة وجعلها علوماً تشمل علمي(المعاني والبيان) وحدد مباحثهما "فعلم البيان يدرس تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة, أما علم المعاني فيدرس

أحوال اللفظ العربي في التراكيب اللغوية"[1].

لقد كان الجواهري في بلاغته ورقيٍّ عباراته متأثراً بالبلاغة العربية منضبطاً بقواعدها وأصولها, فقصيدته في منزلة بين الوضوح والغموض, فوضوحه نابع من اللغة العربية في صفائها ونقائها, أمّا الغموض فهو نابع من معجم الجواهري الذي يأخذ من اللغة العربية قديمها، وحديثها، والاشتقاقات اللغوية الأصيلة، وذات الجذور العميقة وليس ناتجاً عن الرموز الحديثة التي عرفها شعراء الحداثة المتأثرون بالأدب الغربي.

ويعود مثل هذا الأسلوب الشعري, الجمالي الأخاذ إلى قدرة الجواهري على استنطاق مكونات اللغة العربية وتفجير ينابيعها بناءً وتركيباً, على نحو يمكن القول معه إنها من "جواهريات العربية" القابلة للرفد والتجديد.

وشاعرنا الجواهري بحكم كونه " حالة شعر" فناً ومزاجاً, لا يكتفي بالذاكرة فحسب, بل تشكل التجربة أحد أركان إنتاجه الإبداعي.والمبدع الكبير بشكل عام هو أقرب إلى دودة قز تنسج أنواع الحرير الفاخر, بخلق وإبداع باهرين, في حين يتحول بعض الشعراء إلى بائعي سجاد مهما بلغت درجة نفاسته لا يصل إلى منزلة الخلق وصيرورة البناء وتصبح عندهم الذاكرة أهم من التجربة والعادة أهم من المعايشة, وهما ألد أعداء الموهبة وأخطرها على الشاعر[2].

فالجواهري هو المبدع الذي ألبس اللغة العربية ثوب التجديد وعَرض القديم في ثوب قشيب، مزاوجاً بين تراث الأمة ومجدها وبين الحداثة دون أنْ يطغى أحدهما على الآخر.

---

(1) الهاشمي,بديعة خليل(2014),بين البلاغة واللسانيات"جذور منهج الأسلوبية في البيان العربي,مجلة الرافد تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام,حكومة الشارقة, ص ص2–3.

(2) شعبان,عبد الحسين.(1997),الجواهري جدل الشعر والحياة,ص103.

رابعاُ: ظواهر لغوية وأسلوبية.

تعددت الوسائل والتقنيات الفنية والأسلوبية في شعر محمد مهدي الجواهري سواءٌ في موضوع هذه الدراسة وهو الحنين إلى الوطن, أو في العديد من الموضوعات التي تناولها في شعره, ولا عجب في ذلك فهو شاعرٌ ضليعٌ بدراسة الموروث الشعري العَرَبي, إذ لا تخفى على الدارس ثقافتهُ التراثية الواسعة سواءٌ على المستوى الأدبي أم على المستوى التاريخي والديني.

وقد تجلّى ذلك ظاهراً في شعره وفي الوسائل التي اعتمد عليها في التعبير عن تجربته الشعرية سواءٌ على المستوى العاطفي أم الفكري, وأكثر ما يتضح ذلك في قدرته على امتصاص أساليب الشعراء الكبار والاستفادة من معطياتهم وإنجازاتهم الجمالية والفنية.

وفي هذا الإطار سنتوقف في هذا الفصل عند أبرز النواحي الفنية والجمالية التي نجدها في شعر الحنين إلى الوطن عند الجواهري, حيث ستتوقف الدراسة عند السمات الأسلوبية الآتية:

- التكرار.
- التناص.
- النداء.
- التضاد.

أولاً: التكرار:

يرى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) أن" النظام الهرموني للشعر العربي تغلب عليه البساطة ويعتمد إما على التقابل الحاد أو على ماذا؟, ولعل هذه الصنعة تفسر لنا جانباً من تأثيره الذي يشبه تأثير المنوم المغناطيسي وكأنما تعمد الشاعر العربي أن يدفع هذه الصفة إلى أقصى مداها متأثراً بعامل(النقاء) في الفن ومستفيداً من سعة الاشتقاق في اللغة العربية"[1].

التكرار ركن من القصيدة العربية تنبيك بهذا قافيتها, وقد كان الشاعر العربي يحقق التكرار الصوتي في طريقتين الأول نمطي يتصل بنظام القصيدة القديم كما استقرت عليه في قافيتها, يقرّه الإيقاع الخارجي لها, والثاني يسهم في بناء الإيقاع الداخلي للقصيدة[2].

والتكرار: يعني الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني, وهو أساس الإيقاع بجميع صوره, ويأتي بمعنى الإعادة والعطف[3]. ويُشكل التكرار واحدة من الظواهر الأسلوبية البارزة في الشعر العربي, وفي شعر الجواهري على وجه التحديد, ومن المعروف أنها ظاهرة أسلوبية برزت في القديم أيضاً ولكنها أصبحت من الظواهر البارزة جداً ومن الأساليب المحببة للشعراء في العصر الحديث, و تدل على المواطن الشعورية والنفسية التي تضغط على الشاعر وتلحُ عليه. فاستخدام التكرار عند الجواهري قصد تطريب نفسه على القول أولاً، ثم ترويض البيت في أذني المتلقي بموسيقاه، وصولاً إلى تمكين القافية.

---

(1) أنيس, ابراهيم, موسيقى الشعر,ص133.

(2) قضايا الشعر في النقد العربي,ص42.

(3) بنيس, محمد. (1985). ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب, مقارنة بنيوية تكوينية, دار التنوير, بيروت, ط2, ص267.

أنواع التكرار الشعري:

والتكرار في الشعر أنواع فقد يلجأ الشاعر إلى تكرير لفظة, وقد يلجأ إلى تكرار تركيب معين, وقد يلجأ إلى تكرار شطر كامل أو بيت أو مجموعة أبيات, وكل نوع من أنواع التكرار يكشف عن دلالة معينة سواء على المستوى النفسي أو الفني.

فالتكرار من السمات الواضحة في بناء القصيدة عند الجواهري فهو قد يَعْمَدُ إلى تكرار بعض المفردات أو التراكيب لتكون مفتاحاً إلى المقاطع الجديدة, ووسيلةً من وسائل الربط بين تلك المقاطع حتَّى إن الشَّاعر يختار تلك الصيغة عنواناً للقصيدة, ويمكن أن نتبين هذه السمة في العديد من قصائده التي تعتمد على النِّداء ركيزة ينطلق منها القول الشِّعري من ذلك قصيدة " يا أمَّ عوفٍ " و " يا دجلةَ الخير " و "يا غريب الدار " و " يا نديمي " وغيرها.

وسندرس التكرار بأنواعه عند الجواهري وهي: تكرار اللفظة, تكرار التركيب أو العبارة:

أولاً: تكرار اللفظة (الكلمة):

وهو التكرار الذي يعيد اللفظة الواردة في الكلام لدلالات كثيرة ومنها: إغناء دلالة اللفظة, وإكسابها قوة تأثيرية[1].

إن اكتمال الجواهري في نضجه الإبداعي والإنساني أبعد مفردته عن التعويل على رفد خارجي (تراث–البيئة) فظهرت مفردته التي تحمل موسيقاها في سياق أسلوبي دائباً عليها في مرحلتي علوه وغربته ناهيك عن أنَّ الأديب" كلما نضج فإنَّ كلفه بالإغراب فيما يستخدمه

---

(1) الديوان, المجلد الثالث,ص149.

من موسيقى كلامية يقل ويخفت"[1], ليكون الإيقاع رافداً من روافد إبداعه الأخرى من دون أن يُعد ولعاً بتقصي ما يرفده, لقد صار الجواهري ذا تجربة واكتمال موهبة لا يعولان على رفد إيقاعي يسد نقصهما وما عاد الإيقاع إلا حاملاً معبراً مفصحاً عن المعنى في الغرض المقصود, فإن وفدت على إيقاعاته إيقاعات جديدة فإنها تفد لتدخل في لحمتها التي صارت تشير مع مفاصل القصيدة المعنوية والإيقاعية إلى هُويّة الشاعر.

ففي قصيدة "يا أم عوفٍ" نطالع صوراً غير قليلة من التكرار في هذه القصيدة, وهوالتكرار الذي يمثل النوع الأول أي تكرار اللفظة, ومثال ذلك لفظة "**آه**" فقد وردت هذه اللفظة وتكررت على امتداد القصيدة ست مرات, وقد وردت في نفسه مرة واحدة, ويبدو أن هذا التكرار له علاقة وثيقة بنفسية الشاعر, فهو يتحسر ويتوجد على فراقه لبلده, حيث يقول:

يـــا "أم عـــوفٍ" ومـــا آهٌ بنافعـــةٍ   آهٍ علـــى عابـــثٍ رَخْـــصٍ لماضـــينا[2]

وقد كرَّر الشّاعر اللفظة هنا ليدل على تأكيده الحسرة، وشعوره بالغربة، والفقد الذي يشعر به تجاه وطنه الذي هو بعيد عنه. فمشاعره نحو وطنه كانت سبباً لهذا التكرار الذي يبدي فيه الشاعر آلامه وحسرته.

وتكررت في موضع آخر:

آهٍ علـــى حـــائرٍ ســـاهٍ ويَرشُـــدنا   وجـــائرِ القصـــد ضِّـــلُيلُ ويهـــدينا

آهٍ علـــى ملعـــبٍ أن نســـتبدَّ بـــه   ويســـتبدَّ بنـــا أقصـــى أمانينـــا[3]

---

(1) أسعد ,يوسف ميخائيل.(1980) سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ,ص69.

(2) الديوان, المجلد الثالث, ص148.

(3) الديوان, المجلد الثالث,ص148.

لقد صار تكرار اللفظة مفصحاً عن الجواهري, ترى فيه بصمته وهُويّته, صار صانعاً من صنّاع إيقاعه الداخلي الذي يُعرّف بالشاعر, وقد فاد التكرار هنا موسيقى رائعة لحمتها الانسجام والتواؤم,وتجد فيها القدرة على إحضار الإلفة والمجانسة وصولاً إلى القافية.

فتكرار اللفظة (آهٍ) هنا جاءت لتؤكد لنا أن غرض الشاعر من التكرار هو تقوية المعنى وتأكيده وترسيخه لدى المتلقي, كما يجعل المتلقي يعيش التجربة الشعورية التي يعاني منها الشاعر, ويتفاعل معها.

ومثل ذلك التكرار نجده في نفس القصيدة في لفظه" **العام**", حيث يقول:

لـــم يبـــرحِ العـــامُ تِلـــوَ العـــامِ يَقـــذِفُنا   فـــي كـــلِّ يـــومٍ بمَومـــاةٍ ويرمينـــا[1]

وقد وظف الشّاعر التكرار في هذا البيت ليؤكد على المعنى ويرسخه لدى المتلقي, دلالة على حالته النفسية في الانتظار.

ونرى الجواهري في قصيدة " يا غريب الدار", قد تكررت عنده لفظة "دارا" في خمسة مواضع, جاءت جميعها لتؤكد على فكرة أنه بعيد عن وطنه وداره, وفقده لهما على الرغم منه, فهو يتألم ويتوجع, حيث يقول:

تَخِـــــــــــذَ الغربـــــــــــة دارا   إذ رأى الـــــــــــذّلَ إســـــــــــارا

يـــا غريـــبَ الـــدار لـــم يُخـــْـ   ـلِ مـــــــــــن البهجـــــــــــةِ دارا[2]

ونموذجاً آخر على إستخدام الجواهري تكرار اللفظة, حيث يقول:

---

(1) الديوان, المجلد الثالث,ص148.

(2) الديوان, المجلدالأول, ص5.

سـلاماً أيُّهـا الشـاوو نَ إنّـي مُزمِـعٌ عَجِـل

سـلاماً أيُّهـا الخـالو نَ إنَّ هـواكُمُ شُـغُل

سـلاماً أيُّهـا النَّـدما نَ إنـي شـاربٌ ثمِـل

سـلاماً أيُّهـا الأحبـا بُ إنَّ محبـةً أمـل(1)

إنّ الترنم وهي طريقة الجواهري في نظم القصيدة يجعل من التكرار تكراراً ترنُّمياً في بادىء أمره يحثُ به نفسه على قول الشعر, ثم تستقطب خطابيته به المتلقي لينحرف إلى ما يريده من الغايات الظاهرة. فتكرار لفظة (سلاماً) في هذه الأبيات وظفها الجواهري لجذب انتباه متلقيه وإيصال ما يريد إيصاله من بث همومه وشكواه. فالتكرار الترنمي يضيف على القصيدة موجات من الدفق الشعوري المؤثر.

فنرى الجواهري قد بنى قصيدته باعتماده على تكرار "الاستفهام" فينشىء جملاً تعتمد في الأساس على هذا الاسلوب ليتخذ منها محوراً أو ركيزة في بناء القصيدة كلها ليبني عليه قولاً آخر, إنّ المتحدث عنه الذي يبني الشاعر معظم ما يقول يأتي بصور مختلفة كأن يقع اسم استفهام وهو بهذه الطريقة مجال حديث الشاعر يزجي إليه العديد من الجمل من غير حاجة تستدعي الخروج عن محور الحديث الذي اختاره فلو تأملنا قصيدة" يا غريب الدار", لوجدناه يفتتح القصيدة باستفهام يكرره في المقطع الأول باستعمال " مِنْ" الاستفهامية التي يُكنى بها عن العاقل ويشعر الاستفهام من أول وهلة أنَّ الشاعر في موقف المستغيث فيقول:

مَـنْ لهـمٍّ لا يُجـارى ولآهـاتٍ حَيـارى

مَـنْ لنـاءٍ عـاف أهـلاً كالـذي يطلُـبُ ثـارا

---

(1) الديوان,المجلد الرابع,ص31.

مَـــــنْ لســـــتينَ انْطَـــوَت مثـــــــ   ل دم العبـــــــــــد جُبـــــــــــارا[1]

فبنى هذا المقطع على اسم الاستفهام " مَنْ" بدلالته على العاقل وغيره فيستغيث به الشاعر أيّاً كان غير مرَّة أو ينوُّع في صور المستغاث له، لكنها تدل دلالة واضحة على أنها صورة الجواهري نفسه الذي تعتصرُ الغربة والكمد نفسه فتفور بالغيظ والحنق.

ويعتمد الشاعر في الأبيات التي لا يتصدرها الإستفهام العطف وسيلة للربط بين الجمل. إنَّ تكرار الجمل من خلال وجود حرف عطف أو عدم وجوده يجعل الشاعر يُنوع في الصورة من جهة ويربط بينها وبين المتحدث عنه من جهة ثانية بوسيلة العطف أو بحذف أداة الاستفهام.

ثانياً: تكرار التركيب (العبارة):

وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم, إضافة إلى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه[2].

أدرك الجواهري ما في العربية من غزارةٍ وطاقة عظيمتين يمكن أن يستنفدهما عَبْرَ قنوات عِدَّة، سواء في مجال التركيب أم في مجال المُفردات، فلم يترك وسيلة تُجيز له استعمالاً لُغَوياً إلاّ وطرقها. إضافة لذلك فهو لا يختار اللفظة الممجوجة التي أنهكها الاستعمال بل يميل إلى تحويرها بوسائل عِدَّةٍ, بشكلٍ يجلب انتباه المتلقي.

---

(1) الديوان, المجلدالأول, ص5.

(2) الحلبي,ابن الأثير(2007).جوهر الكنز, "تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة "تح محمد زغلول سلام . دارمنشأة المعارف . الإسكندرية ص257.

إنّ هذه الوسائل اللغوية يستعملها الجواهري ببراعةٍ وثقةٍ لا تُتاح لغيره من الشعراء المعاصرين, فهي تُضفي على لغة الشاعر حيوّية أكثر واندفاعاً وطراوةً إذ يبتعد عن اللفظة المستهلكة الخالية من الإشعاع والإيحاء التي لا تُغري المتلقي على الاستمرار في قراءة القصيدة ولا سيما القصيدة الطويلة.

إنّ اللفظة الطازجة التي يجنح إليها الشاعر بما يضفيه عليها من شحنة عاطفية جديدة قادرةٌ على التأثير، وتحقيق المتعة لدى القارىء، وهي رافد مهم من روافد الشاعر الكثيرة التي كونت معجمه الشعري الغزير، فاستفاد من هذه الآلية التي أباحتها له اللغة العربية بما فيها من وسائل تكثير الكلمة واكتسابها دلالات جديدة بما يسمح بتعزيز البناء اللغوي لشعره بأسره.

ففي قصيدته "يا دجلة الخير" نطالع على سبيل المثال صوراً غير قليلة من التكرار في هذه القصيدة, ولعّل أول ما يطالعنا في ذلك تكرار الشاعر تراكيب مثل " حييت سفحك" الذي يستهل به القصيدة, حيث يقول:

حَيّيــتُ ســفحَكِ عــن بُعْــدٍ فحَيِّينــي يـــا دجلـــةَ الخيـــرِ, يـــا أُمَّ البســـاتينِ

حييــتُ ســفحَك ظمآنـــاً ألـــوذ بـــه لـــوذَ الحمـــائمِ بـــين المـــاءِ والطـــينِ[1]

ويكرره في البيت الثاني, وهذا يكشف عن مركزية هذه التحية في هذا النص, فهو شديد التقدير والاحترام لموطنه العراق على الرغم من بعده عنه, لتأتي بعد ذلك عبارة "يا دجلة الخير" التي تتكرر في القصيدة إحدى وعشرين مرة على امتداد القصيدة بشكل متقطع حيناً ومتلاحق حيناً آخر, ويبدو أن هذا التكرار له علاقة وثيقة بنفسية الشاعر, فهو يستحضره أمامهُ من خلال النداء كأنما يراه بعينه, والنداء لا يكون إلا للعاقل السامع, وحين يأتي النداء

(1) الديوان, المجلد الثالث,ص279.

لغير العاقل فهو يذهبُ لمعنى آخر في البلاغة هو التمنيّ, وهذا يدل على تشخيصه لدجلة التي تُشكل رمزاً للوطن, وحاجته إليه مُعطىً إنسانياً.حيث يقول:

يا دجلةَ الخيرِ: قد هانــت مطامحُنــا حتــى لأدنــى طِمــاحٍ غيــرِ مضــمون

يا دجلةَ الخيرِ: يــا أطيــافَ ســاحرةٍ يا خمرَ خابيــةٍ فــي ظــلِّ عُرجــون[1]

ومثلُ ذلك يمكن أن نلمح تكرارهُ في عبارة " يا أم عوفٍ" في قصيدته المعنونةُ " يا أم عوفٍ" التي يكررها أكثر من عشر مرات, حيث تكشف القراءة الدقيقة للقصيدة عن تماهيه وامتزاجه بالمخاطب, وكأن صورته في صورتها, وأن التكرار يأتي في حنينه إلى وجود ذاته وإنتشالها من الضياع والغربة, ونجد هنا إسقاطاً نفسياً من الشاعر على أم عوف, لأنه رآها مقطوعة وليس لها مكان في هذه الصحراء, كمثل حاله ببعده وفراقه لوطنه، فتوحَّد معها نفسياً، ويتمثل ذلك بقوله:

يــــا " أُمَّ عــــوفٍ" عجيبـــــاتٌ ليالينـــــا يُــدنينَ أهواءَنـــا القُصـــوى ويُقصـــينا

يا " أُمَّ عوفٍ" ومـــا يُـــدريكِ مـــا خَبَـــأت لنـــا المقـــاديرُ مـــن عُقبـــى ويُـــدرينا

يـــا " أُمَّ عـــوفٍ" حُرمنـــا كـــلَّ جارحـــةٍ فينـــا لِنُســـرِجَ هاتيـــك الـــدواوينا[2]

فنرى في هذا التكرار الذي يوظفه الجواهري في القصيدة أنه يؤكد على فكرة الغربة و البعد عن وطنه, ويؤكد مدى حنينه وشوقه بطريقة جمالية وفنية فريدة.

ونجد التكرار أيضاً عند الجواهري في قصيدته المعنونة "يا نديمي" عبارة "يا نديمي", والتي كررها مئة وستاً وأربعين مرة, على امتداد القصيدة بأكملها لتضفي على القصيدة بعداً

(1) الديوان, المجلد الثالث, ص280.

(2) الديوان, المجلد الثالث,ص148.

جمالياً وفنياً, وتأتي لتأكيد فكرة الشاعر ومعاناته من الغربة وأوجاعها, وفي هذا التكرار يكشف عن بعد نفسي في المعاناة, وحاجته إلى الندامى بسبب ما يعانيه الشاعر من حالة نفسية أليمة وموجعة بسبب فقده وبعده عن وطنه الذي أحبه.فيقول الجواهري:

يـــا نـــديمي : إنَّ الـــدجى وضَـــحا   والهـــزارَ الغـــافي هنـــاك صـــحا

يـــا نـــديمي: وصُـــبَّ لـــي قـــدحاً   ألمـــسُ الحـــزنَ فيـــه والفَرَحـــا

وأرى : مــــن خِلالــــهِ شَــــبَحاً   مـــن نِثـــارِ الهـــمِّ الـــذي طَفَحـــا[(1)]

فيوظف الجواهري تكرار العبارة" يا نديمي" متخذاً إياها محوراً قولياً يجعل جل الجمل تنصب عليه وتتعلق به, ويتخذه محوراً للقصيدة كلها. إن شعور الجواهري بالغربة والوحدة والبعد عن الوطن جعله يتخذ من هذه العبارة محوراً يكرره في ثنايا قصيدته, ليعبر من خلاله عن مدى المأساة التي يعيشها والألم الذي يعانيه, وليبني من خلالها موجةً شعورية تستوقف القارىءَ والمتلقي وتجعلهما يشاركان الشاعر تلك المأساة التي يعانيها.

ويلجأ الشاعر إلى تكرار تركيب بعينه كتركيب "يا غريب الدار" في قصيدته "يا غريب الدار" فقد كرر الجواهري تركيب يا غريب الدار إحدى عشرة مرة, وهنا جاء هذا التركيب عنواناً للقصيدة, ليكون الركيزة التي ينطلق منها الشاعر ليناجيه ويخاطبه, فالشاعر يعاني اغتراباً وحرماناً , وهنا تركيب" يا غريب الدار"كانت ذاتية تحكي هموم الشاعر ومعاناته جراء الغربة والنفي.حيث يقول:

يـــــــا غريـــــــب الــــــــدار   والأيـــــامُ كالنـــــاسِ تُـــــدارى

---

(1) الديوان, المجلد الثالث, ص301.

يـــــا غريـــــب الـــــدارِ مـــــا فخـــــــرُ المنيبـــــــــــينَ اضـــــــــــطرارا[1]

إن هذه القصيدة تُمثل في بنيان النص وسيلة توكيد لدلالة النص العامة, ويمثل النص بذلك مقطعين, الأول يطرح فيه الشاعر دلالة معينة, ثم يأتي المقطع الثاني عن طريق بنائه بناء مغايراً للأول يؤكد الدلالة الأولى, ويزيدها توكيداً ووجوداً, واستعان الشاعر في نصه السابق بتكرار " يا غريب الدار" غالباً في الأبيات, وإن هذا التكرار بهذه الكثافة يعمل على دلالة النص ديمومة وسطوعاً, كما استطاع به الشاعر مع النداء المنتشر في النص أن يوفر سبل الخلود في أذهان متلقيه.

إنَّ النص الشعريَّ الجواهريَّ يتفجر بيتاً بعد الآخر ولا يعرف السكون لحظة, وتلك سمات النص الإبداعي لدى شعر الجواهري.

وقوله أيضاً في قصيدة (بريد الغربة) وردت عبارة (سلاماً أيها) مكرره لأربع مرات وعلى النحو الآتي:

ســـــــــلاماً أيُّهـــــــا الثــــــــاوونَ إنّـــــــــي مُزمِـــــــعٌ عَجِـــــــــل

ســـــــــلاماً أيُّهـــــــا الخـــــــالونَ إنَّ هـــــــــــــواكُمُ شُـــــــــــــغُل

ســـــــــلاماً أيُّهـــــــا النَّــــــــدمانُ إنـــــــــي شـــــــــاربٌ ثمِـــــــــل

ســـــــــلاماً أيُّهـــــــا الأحبـــــــابُ إنَّ محبـــــــــــةً أمـــــــــــل[2]

نرى الشاعر كرر هذه العبارة(سلاماً أيها) منطلقاً من الرغبة باظهاره مدى ما يشعر به من حب اتجاه من يخاطب وتعظيم ما يشعر به من شوق حيالهم.

---

(1) الديوان, المجلد الرابع, ص7.

(2) الديوان,المجلد الرابع, ص221.

وقوله في قصيدته (آه على تلكم السنين) ورد فيها عبارة "آه على تلكم السنين" لست مرات موزعة بين ثنايا القصيدة وجاء التكرار على الشكل الآتي:

آه علـــــــــى تلكــــــــم الســــــــنين   تياهــــــة العطـــــــف بـــــــالجنون

آه علـــــــــى تلكــــــــم الســــــــنين   بـــــــالآه بيعـــــــت وبـــــــالحنين

آه علـــــــــى تلكــــــــم الســــــــنين   تُهْصَــــــرُ مـــــن رقـــــة ولـــــين

آه علـــــــــى تلكــــــــم الســــــــنين   إذ نحـــــن مـــــنهنّ فـــــي شـــــؤون

آه علـــــــــى تلكــــــــم الســــــــنين   مبـــــــرءات مـــــــن الفنـــــــون

آه على تلكم السنين[1]

والمغزى من وراء هذا التكرار هو إظهار التحسر على ما فات من أيام بيعت بالآه وبالحنين كما ورد في ذلك.

---

(1) الديوان، المجلد الرابع، ص 221.

ثانياً: التناص:

قبل الحديث عن التناص لا بد من التطرق إلى الاقتباس والتضمين والتفريق بينهما, ذلك أنّ هذه المصطلحات تتقاطع وتتشابه من وجوه وتختلف من وجوه أخرى.

فقد عرّف البلاغيون الاقتباس بأنه: (تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يُغَيَّر في الأثر المقتبس قليلاً ، أما التضمين فهو أن يضمن شعره شيئاً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء بوضعه بين قوسين..)[1].

ولا غرابة أنْ تجد الكثير من الآيات القرآنية ممزوجة داخل النصوص الأدبية بعبارتها أو بمعناها ذلك أنّ القرآن الكريم هو أفصح وأبلغ من كل كلام.. بل هو معجز، ومن حفظه، أو بعضه، فإنه ينعكس على حديثه وكتابته نوراً، إذا كان واعياً موهوباً..

فتشابه المعاني مع اختلاف الصياغة وإبداع المعنى لا يعدّ سرقة، وإنما يسمى في النقد الحديث (التّناص) وهو خروج نص قديم من العقل الباطن بإبداع جديد، وحين سأل شاب موهوب أبا تمام: كيف أصبح شاعراً؟ قال له: احفظ ألف بيت من أجود شعر العرب ثم تعال، وحيث حفظها وقرأها عليه قال: انسها كلها الآن، فأبو تمام الموهوب يعرف أنه إذا عمل على نسيانها فقد هضمها في عقله الباطن وصارت جزءاً من ثقافته توسع مداركه ومعانيه وألفاظه، وأمره بنسيانها لكي تكون له (شخصية) وأسلوب متفرد وإن أثرت فيه النصوص التي قرأها لأنه يكون قد هضمها بوجدانه وتفرده كما يهضم الجسم السليم أنواع الطعام المختلفة فيبني بها

---

(1) للقزويني, الخطيب, (2003) الايضاح في علوم البلاغة , الطبعة الاولى, دار الكتب العلمية, ص٤٢٢.

صحته ونضارته[1].

لقد ظهر مصطلح التناص في النقد الأدبي في منتصف الستينيات من هذا القرن, وقد عرفته جوليا كريستيفا بأنه:" جملة المعارف التي تجعل من الممكن للنصوص أن تكون ذات معنى, وما إن نفكّر في معنى النص باعتباره معتمداً على النصوص التي استوعبها وتمثلها, فإننا نستبدل بمفهوم تفاعل الذوات مفهوم التناص[2].

وهي تذهب إلى أنَّ: كل نص هو لوحة فسيفسائية من الاقتباسات, وكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى[3].

وقد عرفه الدكتور عبد الملك مرتاض: "التناص هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظاً وأفكاراً كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه"[4].

وعرفه أيضاً بأنه " تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى". وهو ما يؤكد بأن هذه الفكرة قد عرفها النقاد العرب بصورة تفصيلية تحت باب السرقات الشعرية. فالتناص عنده عبارة عن " حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج

---

(1) الجعيثن ,عبدالله,(2010م), التضمين والاقتباس (التناصّ) في الشعر الفصيح والشعبي (١-٢), الإثنين 13 بيع الاخر 1431هـ - 29مارس - العدد ,15253.

(2) حافظ,صبري(1996),أفق الخطاب النقدي,قراءات نظرية ودراسات تطبيقية,دار شرقيات,ط1,ص56.

(3) بنيس, محمد. (1985), ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب, مقاربة بنيوية تكوينية, دار التنوير, بيروت, ط2, ص251.

(4) الموسى, خليل. (1996). التناص والأجناسية في النص الشعري, مقال في مجلة الموقف الأدبي, ع205, السنة26, دمشق, ص ص83-84.

نص لاحق"[1].

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه " تضمين نص لنص آخر أو استدعاؤه, أو هو تفاعل خلاّق بين النص المستحضِر والنص المستحضَر, فالنص ليس إلا توالداً لنصوص سبقته"[2].

يُعتبر التناص ظاهرة تركيبية بارزة في اللغة الشعرية للنص المعاصر, فكل قول لا يخلو من تناص, فكلام الناس كله يشتمل التناص متعمّداً أو غير متعمّد, وذلك يُعد حصاداً لمخزونهم المعرفي والثقافي, فلم يعد النص الشعري منغلقاً أو نتاجاً تلقائياً يقتصر على الامتلاء البريء, إنما هو نص مفتوح يعتمد معارف سابقة مكتنزة في ذهن المبدع نتيجة اطّلاعه وقراءاته وثقافته التي يجب أن تكون واسعه[3].

فالشاعر أو الأديب يوظف مخزونه الثقافي بطريقة واعية أو غير واعية, وهذا ما جعل لغة الشعر الحديث أكثر كثافة وعمقاً, بل صارت القصيدة الحديثة شبكة من الرموز والعبارات التي تربط بين الأدب والثقافة, وكلما كانت ثقافة الشاعر أعمق كانت تلك العلاقات أكثر تعقيداً وتداخلاً وأبعد دلالة.

فثقافة الجواهري واطلاعه الواسع يبدو جلياً في شعره وقصائده الأمر الذي جعل منها شبكة من العلاقات المتداخلة نسيجاً حبكه الشّاعر بتضمينات مباشرة أو إشارة إلى نصوص شعرية قديمة[4], ولا يمكن أن نعد ذلك مأخذاً على الشّاعر أو مما يقلل من شاعريته وذلك

---

(1) الموسى,خليل.(1996).التناص والأجناسية في النص الشعري,ص83.

(2) ربابعة, موسى سامح. (200). التناص في نماذج الشعر العربي, مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية, الاردن, ط1, ص97.

(3) انظر: غالب, علي ناصر, (995), لغة الشّعر عند الجواهري, ص67.

(4) انظر: الطعان, هاشم,(1975).الجواهري والتراث,بحث في ضمن محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية,بغداد,ص131.

لأنها قليلة قياساً إلى حجم نتاجه الشّعري, وهي دليل على خبرته الواسعة بديوان الأدب العربي القديم, الذي يعدُّ مصدراً من مصادر ثرائه اللغوي.

وقد زخرت قصائد الجواهري على اختلاف أغراضها وموضوعاتها بكثير من اشكال التناص التي أفادها من قراءته للقرآن الكريم مستفيداً من ألفاظه وتعبيراته, ولا يقتصر ذلك على مرحلة من مراحل حياته الشّعرية دون سواها بل يشملها كلّها.

إن النص الشّعريّ لدى الجواهري مُطّعم بالقرآن الكريم وهو لا يتحرج من استعمال اللفظ القرآني, مما يعني أنه يستفيد من النصّ القرآني بوصفه نصّاً لُغوياً مُتميّزاً فيه من الخصائص الفنيّة الجميلة والتعبيرية ما يفوق غيره من النصوص.

ولم يقتصر الجواهري في نصه الشعري على توظيف القرآن الكريم بل كانت الأمثال ظاهرة بشكل جل في شعر الجواهري, فقد يُثير تضمين الأمثال القديمة, أو الشعر, أو الإشارة إليها, تداعيات كثيرة بحكم تعبير المثل عن قصة, أو مناسبة معينة, يستفيد منها الشّاعر في بناء صوره. ويعكس استعمال المثل ثراءً في ثقافة الشاعر اللغوية فهو على صلة كبيرة بكتب الأمثال, ولذلك يأتي النص الشّعري أكثر إيحاءً وإثارةً إذا ضُمّن مثلاً أو ترددت فيه من إشارة من بعيد أو من قريب(1).

---

(1) انظر: غالب,علي ناصر,(995),لغة الشّعر عند الجواهري,ص93-ص102

أنواع التناص عند الجواهري:

1-التناص الشعري:

إنّ النص بوصفه فضاء متعدد المعاني ينتمي عند بعضهم بشعريه توليدية, وعند الآخرين إلى جمالية المتلقي ويتموضع عند بعضهم في مركز الفرضية الاجتماعية التاريخية.

فالتناص الشعري: هو الذي ضم زمنين, زمن الشعر الأول والزمن الحاضر, هذا التناص بين زمنين يتداخلان, ليأخذ الزمن الحاضر من القديم, ثم تتداخل تلك النصوص لتكون شبكة من العلاقات بين القديم والحديث[1].

فقد تعالق نص الجواهري وتناص مع النصوص الأخرى وتزامن بين نصين أو أكثر فهنا دلالة على ملكة الجواهري لبنى أسلوبية أعاد صياغتها , وأخرجها في سياق جديد قائمة على أساس الاختيار الواعي لهذا التركيب لأنه الأنسب والأقدر في الكشف عما يختلج بصدره.

وهذا ما نجده في قصيدة له بعنوان" إلى الشعب المصري" إذ يقول:

ووراء أجـــــداث الضـــــحايا إصـــــبعٌ "يـــومي إليـــك بهـــا وعـــين تنظـــر"[2]

فهذا البيت تناص مع عَجُزِ بيت البحتري في قوله:

وأفـــتنَّ فيـــك النـــاظرون فإصْـــبَعٌ يـــومي إليـــك بهـــا وعـــين تنظـــر

وقد أفاد هذا التناص الشعري من عَجُزِ بيت البحتري في بنية جديدة المعنى عند

---

(1) هياس, خليل شكري.(2012).ينابيع النص وجماليات التشكيل "قراءات في شعر بشرى البستاني",دار دجلة,الاردن,ص388.

(2) انظر:الديوان,المجلد الثالث,ص47.

اللاحق, وقد صيغت بثوب جديد, وبصياغة مشوقة.

ويقول أيضاً:

وبكـــــل آونــــــةٍ لكــــــل وظيفـــــة "مـــن آل نُعْـــمٍ رائـــح فمبكِّـــر"[1]

فهو تناص مع رائية عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها:

أمـــن آل نعـــم أنـــت غـــاد فمبكـــر غـــداة غـــد أم رائـــح فمهجّـــر؟

فالجواهري يزاوج بين شعره وثقافته, فيوظف تلك الثقافة الأدبية, ويفيد من اطلاعه الواسع لتظهر آثار تلك الثقافة في شعره قوالب جديدة وصياغات تربط القارىء بالثقافة العربية بطريقة فنية تنبيك عن علو كعبه ورفعة شأنه.

2- التناص القرآني:

لا يخفى الأثر الذي يمثله النص القرآني بالنسبة للذاكرة الثقافية والإبداعية العربية بشكل خاص، ولا سيما في إطار الشعر الحديث الذي يحرص بطبيعته الإيمائية والأدائية على التمثل الخفي والتعبير الرمزي والاهتمام بالأساليب والصياغة الفنية المبتكرة, إذ يعد الرافد القرآني أكثر تأثيراً على مرحلة الشعر العربي المعاصر من غيرها من المراحل السابقة, من خلال تضمين عدد من آياته أو معانيه أو مفرداته, والتي أضفت فاعلية معرفية على النص, فضلاً عن التداخل بين زمنيين يتداخلان في أهمية المسألة أو القضية التي يعالجها الشاعر[2].

إن ميل الجواهري إلى استعمال المفردة القرآنية أمر ظاهر في شعره ممّا يدل على أنه

---

(1) انظر:الديوان,المجلد الثالث,ص47.

(2) هياس,خليل شكري.(2012).ينابيع النص وجماليات التشكيل,ص390.

يستعمل هذه المفردات أو التراكيب القرآنية لا بسبب حسِّه الديني بل لكونه يُدرك أنَّ لُغة القرآن الكريم مصدرٌ مُهمٌّ من مصادر اللغة الفنيّة، وهو في استعماله هذه المُفردات يُدرك أنها ليست غريبةً أو معُجمة بل هي ألفاظ تأنسُها الأسماع أنّى تُليَ القرآن أو رُتِّل.

وسنعرض بعض النماذج الشعرية للشاعر والتي تناصت مع الآيات القرآنية.

وأول نموذج على التناص عند الجواهري في شعره, نجده في قصيدته" من دفتر الغربة" حيث تمثل التناص الشعري بآية قرآنية, بقوله:

كَـــمْ أَطَحْنَــــاهُمُ بِضَــــرْبِ الــــوَتِينِ   وفَـــدَيْنا مِـــنْهُمْ بِعِجْــلٍ سَـــمينِ[1]

وفي هذا البيت إشارة إلى آيتين كريمتين هما:

(ثُمَّ لقطعنا مِنْه الوتين)[2].

و(فراغَ إلى أهلِهِ فَجاءَ بِعجْلٍ سَمِيْن)[3].

فالشاعر في هذه الأبيات يحاول أنْ يوظف المعاني القرآنية, كما يسعى للإفادة منها في إيصال المعنى المراد, وتجلية التجربة الشعورية بأسلوب غير مباشر.

وتظهر هنا براعته في اختيار اللفظة القرآنية وتوظيفها في النّص الشعري بشكل مُوحٍ فينتفع من دلالة المفردة أو التركيب مما يعكس هيمنة الشاعر وخبرته الواسعة في آيات القرآن ومفرداته.

---

(1) انظر:الديوان.المجلد الرابع, ص349.

(2) انظر:القران الكريم, سورة الحاقة,آية 46.

(3) انظر: القران الكريم, سورة الذاريات,آية 26.

وتمثل التناص أيضاً في قوله:

يـــا أحبـــاي...والليـــالي عجيبـــاتٌ عِجـــافٌ يـــأكُلنَ كـــلَّ سَـــمين[1]

وفي هذا البيت تناص مع الآية الكريمة في قولة تعالى:

(يوسف أيها الصّدّيق أفتنا في سبع بقرات سِمان يأكلهن سبع عجافٌ وسبع سُنبُلاتٍ خُضر وأُخر يابسات لّعلّي أرجعُ إلى النّاس لعلَّهم يعلمون)[2].

يستفيد الجواهري من رموز القصة القرآنية , قصة سيدنا يوسف عليه السلام الذي كان كل ذنبه أنه رأى حُلماً جميلاً فحاول الآخرون وعلى رأسهم إخوته أن يحرّموا عليه هذا الحلم, فما كان منهم إلا أن تآمروا عليه وألقوه في الجب, لكنّه استعاد مكانته عند آخرين وبعد مرور زمن طويل.

وبما أن مهمة الشاعر الجواهري ومهمة غيره من الشعراء تقوم أصلاً على الحلم بواقع أفضل, فقد حاول الجواهري الإفادة من إمكاناتها الرمزية, ليصوّر نفسه ذلك الحالم بمجتمع أحسن وأكثر عدالة, فكان مصيره أن ألقي في السجن أولاً, ثم خارج الوطن غريباً[3].

وهنا نحظ أنّ الشاعر قد وظف الدلالات التي تحملها قصة يوسف, ليصور معاناته ولكنه واثق بأنّ العاقبة مشرقة وأنّ القادم أجمل.

والناظر في التناص القرآني عند الجواهري يلحظ قدرة الشاعر على تكثيف العبارات من خلال توظيفه للمعاني القرآنية إذ استطاع الشاعر أنْ ينقل السامع والمتلقي من واقع

---

(1) الديوان.المجلد الرابع, ص347.

(2) القرآن الكريم, سورة يوسف,آية 45.

(3) انظر: قطوس, بسام.(2000). مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث,دار الشروق, عمان,ص30.

القصيدة إلى دلالات القصة القرآنية, فيربط بين تجربة الشاعر والعبر التي يسوقها الشاعر من خلال توظيفه تلك القصص.

ونجده أيضا في قوله:

تلهـــــو و"ثـــــاني القبلتـــــين" مباحــــــةٌ وتُعيّـــدُ " المعـــــراج" و"الإســـــراء"[1]

وفيه إشارة إلى قوله تعالى:" سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً"[2].

3- التناص مع الأمثال:

إنّ الأمثال العربية رغم قلة كلماتها واختصار عباراتها إلا أنها تحمل لغة مكثفة عالية التركيز والتأثير، فكل مثل تكمن خلفه قصة تزخر بالعبر والدلالات. ولا شك أنّ قدرة الشاعر على التناص مع الأمثال العربية يجعل تلك القصص بدلالاتها حاضرة في نفس السامع والمتلقي, وهو بذلك يزاوج بين التراث والحداثة ويبني بينهما جسوراً وشبكات مترابطة مع العلاقات التي يوظفها الشاعر للتعبير عن المعاني التي تختلج في نفسه.

ومن الأمثلة على التناص أيضاً في شعر الجواهري في هذا البيت من قصيدته بعنوان "ذكرى المالكي" حيث يقول:

شِـــدنا الحيـــاةَ, وكُوفِئنـــا الممـــات كمـــا شاد " الخورنق" كي يَردى " ســـنِّمار"[3]

فهذا البيت تناص مع المثل الشعبي "جزاء سنِّمار"[4].

---

(1) الديوان,المجلد الرابع,ص127.

(2) القرآن الكريم,سورة الإسراء,آية1.

(3) الديوان.المجلد الثالث, ص186.

(4) مجمع الأمثال:1-378.

فالشاعر هنا يتمثّل جزاء سنِّمار وما آل إليه وما وصلت إليه حالته بالمثل كجزاء سنّمار, ويلومُ أبناء وطنه الذين تجاهلوا أنه يستحق الاحترام والرفعة والتعظيم, ولكنَّ جزاءه الذي لقيه منهم هو الفراق والغربة والغدر ونكران للجميل, لذلك جاء هذا البيت تناصاً مع هذا المثل.

وقد وظف المثل في أكثر من موضع من شعره دلالة على تمكنه من اللغة, كما في قوله:

يـــا نـــديمي: وخائـــبٌ كـــــ"حُنَـــيْنِ"   مُستَضـــــلٌّ يبغـــــي نســـــيئاً بعَـــــيْنِ[1]

فهنا إشارة إلى المثل " رجع بخُفَّيْ حُنين"[2].

وهو بذلك يستحضر قصة ذلك الأعرابي الذي عاد من رحلته خائباً رغم عناء الشعر ومكابدة الصحراء، فقد أضاع الأعرابي راحلته وما عليها من أجل حذاء لم يَعُدْ من رحلته إلا به, وهو يجعل منه مثلاً للتائهين الذين ضيَّعوا سعيهم وأضلوا طريقهم.

---

(1) الديوان.المجلد الثالث, ص305.

(2) مجمع الأمثال:1 –296.

ثالثاً: النداء:

هو طلب المنادى بأحد حروف النداء الثمانية, ومنها ما يستعمل لنداء القريب كــ"الهمزة", ومنها ما يستعمل لنداء البعيد: يا, أي, أيا...[1].

وأسلوب النداء من الأساليب التي يُستعان بها على مستوى النص, مضيفاً إلى النص دلالة الإثراء ليساهم مع غيره من عناصر الإبداع على إبداعية النص, ويُستخدم النداء كوسيلة من وسائل إحياء البث الشعري لدى المتلقي حيث يمثل النداء نقاط تنبيه وتنشيط, لأنه يتم برفع الصوت ومده[2].

يوظف الجواهري النداء للتعبير عن الذات وما يجابها من أزمات وصعوبات, يمثل الشاعر فيها طرفاً رئيسياً, أو يستخدمه ليعبر عن مناجاة داخلية, فكم من مواقف تعرض لها الجواهري في عصره –عصر الاضطرابات –جعلته يعلو بشكواه ويكون النداء هنا وسيلة أسلوبية تكشف عن مدى المعاناة التي يفجرها النص, ويصبح حينئذ النداء, وسيلة كشف عما يحتويه النص من دلالات ومعان.

ينبض أسلوب الجواهري بتجربته المتأججة القلقة, وينعكس ذلك بوضوح في كثرة استخدامه لأسلوب النداء, في محاولة قلقة منه لتصحيح الواقع.ولقد وظف الجواهري أسلوب النداء في شعره كثيراً.

وقد اختار الجواهري لإيقاظ العزائم وإحياء الضمائر واستنهاض الهمم صيغ النداء:"يا"

---

(1) غالب، علي ناصر. (1995). لغة الشعر عند الجواهري، ص 188.

(2) انظر:الدسوقي,محمد(2008).البنية اللغوية في النص الشعري"درس تطبيقي في ضوء الأسلوب",ط1,كفر الشيخ, دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع,ص103–ص104.

أو "أيها"أو " يا أيها" التي تستعمل للبعيد فتحس أن هناك بعداً شاسعاً بين الشاعر وأمته, ورغم ذلك فإنه لا يمل, وهذا بصيص أمل وطمع في الاستجابة لمطالبه, وهذا الشعور بهذا البعد الشاسع لا يقتصر على الشاعر والأمة بل على جميع مفردات النداء لديه: (الشعر, الأرض, الإنسان,الحاكم,الموت, الحياة...الخ).

فنرى الشاعر يتعامل بالنداء المباشر في قصيدته والتي بعنوان " من دفتر الغربة" قد وظف أداة النداء"يا" في أكثر من موضع في القصيدة من ذلك نداؤه للغربة وحرمانه من وطنه والذي يلازمه في كل خطوة يخطوها, وذلك راجع إلى البعد النفسي بينه وبين هذا الحرمان والجفاء المقيت, وإلى رغبته الكامنة في أن يعود إلى وطنه, حيث يقول:

يـــــا غاديــــــاً لسُــــفوح دجـــــــــ   لــــــــة حيــــــثُ طينتُهــــــا تُشَـــــمُّ

يـــــا مُوقِــــــدي سُـــــرُج الــــــدما   ءِ إذا دجـــــــا ليـــــــــلٌ أغـــــــــمُّ[1]

ونجد نموذجاً آخر من قصائد الجواهري الطِوال والتي يستخدم فيها أسلوب النداء في قصيدة " يا نديمي" فقد كرر الشاعر صيغة النّداء هذه أكثر من مائة مرّة على امتداد القصيدة, والشاعر في هذه القصيدة يتخذ من صورة النِّداء طرفاً آخر يحاوره ويناجيه ويتلذذ بطول المناجاة هذه وبتكرار النِّداء.

يـــا نـــــديمي: وصُــــبَّ لـــــي قــــدحاً   وأعرنـــــــي حـــــــديثَك المرحـــــــا

يـــا نـــــديمي: وأمـــــس رأدَ ضُـــــحى   قلــــتَ لــــي قـــولَ مُشِـــفقٍ نَصَـــحا[2]

إنّ الجواهري قد وظف النداء ووزعه بطريقة متوازنة, ومع منادى وهمي, ليس له

---

(1) الديوان.المجلد الثالث, ص262.

(2) الديوان.المجلد الثالث, ص302.

كيان حقيقي, ومع ما طرحة الشاعر من دلالات ليؤكد على قضية غربته وبعده عن وطنه, إلا أن قضية الصراع الداخلي للشاعر بين حبه لوطنه وبعده عنه, يحتم عليه استخدام النداء, كما يتضح ذلك جلياً في الأبيات التالية:

يا سامر الحـــيِّ بـــي شـــوقٌ يرمِّضـــني إلى اللَّذات, إلى النجـــوى, إلـــى السَّـمرِ
يا سامر الحـــي بـــي داءٌ مـــن الضـــجر عاصاه حتـــى رنـــينُ الكـــأس والـــوتر
يا ســـامر الحـــي حتـــى الهـــمُّ مـــن دأبٍ عليـــه آب إلـــى ضـــربٍ مـــن الخـــدر
يا ســـامر الحـــي انَّ الـــدهرَ ذو عجـــب أعيت مذاهِبُـــهُ الجُلّـــى علـــى الفِكَـــر[1]

فالشاعر يجد في هذا النداء سلوةً لنفسه وتخفيفاً من أحزانه وآلامه التي تؤرقه وتقضُّ مضجعه.

لقد وظف الجواهري النداء في التعبير عن أزمته المطروحة سابقاً وخصوصاً أن عصره اتسم بالاضطرابات من ناحية أو ما يسببه له من صراع نفسي من ناحية أخرى, فنراه يستخدم هذه الوسيلة الأسلوبية كثيراً في قصائده في التعبير عن أزماته ومشاكله, لنتأمل الإبداع الشعري في الأبيات التالية من قصيدته " أرح ركابك" حيث يقول:

ويا أخا الطير فـــي ورِدٍ وفـــي صَـــدَرٍ في كـــلِّ يـــومٍ لـــه عُـــشٌّ علـــى شـــجرِ
يا صورة الـــوطنِ المهُـــديك معرضُـــه أشـــجى وأبهـــجَ مـــا فيـــه مـــن الصُّـــور
يا صـــورة الـــوطن انصـــبَّت معالمهـــا على معـــالمَ مـــا أبقـــت يـــدُ العُصُـــر[2]

ويقول الجواهري في قصيدته " بريد الغربة":

---

(1) الديوان.المجلد الثالث,ص69.
(2) الديوان.المجلد الثالث,ص68.

سـلاماً أيُّهـا الثـاوو   نَ إنّـي مُزمِـعٌ عَجِـل

سـلاماً أيُّهـا الخـالو   نَ إنَّ هـواكُمُ شُـغُل

سـلاماً أيُّهـا النَّـدما   نُ إنـي شـاربٌ ثمِـل

سـلاماً أيُّهـا الأحبـا   بُ إنَّ محبـةً أمـل(1)

من خلال أبيات الجواهري هذه نرى أنه يوظف أسلوب النداء لجلب الانتباه للمتلقي, وليبثَّ همومه وشكواه بسبب فقده وغربته عن وطنه الحبيب وعن معاناته التي يعانيها بسبب الغربة.

(1) الديوان,المجلد الرابع,ص31.

رابعاً: التضاد:

التضاد هو واحد من فنون البديع الذي اهتم الدارسون بتقسيمه وتفريعه, وهو يضفي على النص جمالاً وحسناً, فضلاً عن روعته في إفادة المعنى ومداعبة مشاعر المتلقي من خلال التباين الدلالي والاختراق الذهني الذي تولده الإشعاعات الدلالية المخزونة في ألفاظه, بحيث يخلق لنا نصّاً مفتوحاً[1].

التضاد لغةً: ضد الشيء خلافه, وقد ضاده, وهما متضادان, يقال: ضادني فلان إذا خالفه[2].

التضاد اصطلاحاً: هو (الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو تقريراً)[3], (وقد عرّف بالجمع بين ضدّين مختلفين كالإيراد والإصدار, والليل والنهار, والسواد والبياض)[4].

فالتضاد أحد أعمدة البديع, وعليه المعوّل فهو (توكيد وتقرير المعاني وتثبيتها في النفوس)[5]. فالتضاد يؤدي إلى زيادة على تزيين اللفظ, وتحسين النظم والنثر, وكشف القيمة الجمالية التي تنشّط الحركة التأويلية في النص, فضلاً عن توليدة إيضاحية, وإبانة في المفردات المتضادة في النسق المتضمّن لهذه المفردات, وعليه فإنّ بنية التشكيل اللفظي للتضاد تكثف

---

(1) الغذامي,عبدالله.المشاكلة والاختلاف,ظ: عالي سرحان القرشي, تحولات النقد وحركية النص,ص34.

(2) مطلوب,أحمد.(1987), معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها, مطبعة المجمع العلمي العراقي,ص54.

(3) انظر: غالب,علي ناصر,(995),لغة الشّعر عند الجواهري,ص98.

(4) بسيوني, عبد الفتاح فيود. (2010), من بلاغة النظم القرآني, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, القاهرة, ط1, ص77.

(5) ابن سيدة, علي بن اسماعيل (1970), المحكم والمحيط الأعظم في اللغة, تحقيق: مراد كاظم, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, القاهرة, الناشر مكتبة فخر الدين, ص133.

البحث الذهني عند القارىء لكي يقف على حدود المعنى العميق[1].

ينفعل الشاعر بما يراه من مظاهر التناقض وقلب المفاهيم في واقع الأمة, حيث يدان الأمين, ويؤمن الخائن, وينصَّب الجاهل, ويستثنى العالم الخبير, فيحزن من شر البلية, وكل هذا ينعكس على إبداع الشاعر, فتصبح الضحكة تبكي, والدمع يبتسم, والمر أحلى من الحلو, والحي ميتاً, والوجود عدماً، والجحود قمماً واللاءات نعماً, والسادة خدماً.

ويصبح هذا التضاد اللغوي والمفارقة التصويرية سمتاً لازماً من سمات الشاعر وبصمة واضحة من بصماته, فهو ما إن يذكر كلمة ما إلا ويستدعي ما يخالفها ويضادها, في أغلب الأحيان, فهو إذا ذكر "الغد" استحضر "الأمس", وإن ذكر "الحياة" استدعى " الموت".

إن بنية القصيدة الجواهرية كلها بنية قائمة على التضاد, ويعتبر التضاد والتناقض سمة من سمات حياة الجواهري, ولقد أقر بها في مواضع عديدة لم يكن لشعره أن يتخلّص منه, فقد أكسبة تضاداً وتناقضاً جلياً, وكأنما صار غرضاً من أغراضه الشعرية.

ونرى التضاد واضحاً عند الجواهري , ولعل السبب في ذلك يعود إلى الأوضاع العمومية لحياته الخاصة, وإلى تكوينه النفسي والبيئي.

فنرى الجواهري في قصيدته بعنوان "أرح ركابك" يوظف التضاد وبشكل واضح وبارز على امتداد القصيدة, حيث يقول:

---

(1) السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ), الإتقان في علوم القرآن, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, الناشر مكتبة فخر الدين،ص34.

ويا أخا الطير في ورْدٍ(*) وفــي صَــدَرٍ(*)   في كلِّ يومٍ لـــه عُــشٌّ علـــى شــجر[1]

فنلاحظ التضاد في هذا البيت بين " وِرْدٍ " و" صَدَرٍ " فقد وظف الشاعر التضاد هنا لما يشعر من حالة نفسية أليمة بسبب فقده لبلاده, والتضاد هنا يفيد تقلب الحالة وتغيرها من حالة إلى حالة, بسبب تأثر الشاعر بالحالة النفسية المُسيطرة عليه بسبب غربته عن وطنه.

ويقول أيضاً:

يَـــروي القريـــبُ إلـــى البعيـــدِ حديثَـــه   ويَسُـــرُّ فيـــه الغـــائبين الحُضَّـــر[2]

ونموذج آخر على التضاد عند الجواهري ,يقول:

وناهَبَـــتْ شَـــعري بمحـــض غُبارهـــا   فبياضُـــــه بســـــواده يتنـــــدَّر[3]

ويقول:

لـــم أدر " طـــه" والشـــعوبُ كريمـــةٌ   أقســـو فأعتـــبُ, أم ألـــينُ فأعـــذر[4]

في هذا البيت يشكو الشاعر حياته إلى صديقه طه حسين وما آل إليه من غربة, ويخاطبه وهو لا يعلم هل يقسو من سوء حاله وفراقه ويعتب أم أنه يلين ويختلق الأعذار له, فتوظيف الجواهري للتضاد هنا دلالة على ما يشعر به من حالة عدم الاتزان النفسي.

ومثل ذلك قوله:

(*) الورْد: هو أن ترد المياه لتشري منها.

(*)والصَدَر: هو أن تصدر عنها–أي ترجع–بعد ذلك.

(1) الديوان.المجلد الرابع, ص68.

(2) الديوان.المجلد الثالث, ص53.

(3) الديوان.المجلد الثالث, ص53.

(4) الديوان.المجلد الثالث, ص53.

كـــأن نعمـــاءه حبلـــى بأبؤسِـــهِ   من ساعة الصفو تأتي ساعةُ الكــدر[1]

فاستخدام الجواهري للتضاد هنا يدلل على حاله وواقعه الذي يعيشه, فحياته كلها تقلبات وتضادات, كتقلب الصفو والفرح إلى الحُزن والكدر, فهنا دلالة واضحة على أن واقع الجواهري مرير وأليم ولا هناء في عيشته طالما هو بعيد عن وطنه وبلاده.

لقد كانت المتضادات والثنائيات عنصراً رئيساً في بناء قصيدة الجواهري, وقد وظفها في بناء الصورة, وإبراز معالمها في شعره الذي تهكم فيه كثيراً, وسخر من الواقع الذي تحكمه المتناقضات, فالتشكيل الدلالي في نص الجواهري, منح المتلقي متعة معنوية حين يتأمل الألفاظ, ويرسم صورة حيه لها في ذهنه. فنراه يقول:

يـــا نـــديمي إن الجمـــال متـــاعُ   وحيـــاة بـــلا متـــاع جحـــيمُ

ليت هــذا النصــفِ اللطيــف اقتــراعُ   لاكـــظيظ منـــه ولا محـــرومُ

ظُلــم الشــرقُ عنــد شــرق جيــاع   كضـــباع وعنـــد غـــرب حـــريمُ

يـــا نـــديمي وهكـــذا   فـــي صـــراع مـــع الشـــقاءِ والنّعـــينُ[2]

إن خيال الجواهري العميق منح الصورة أبعاداً دلالية حين انتقلت المدركات من المجردة إلى المتخيل الذهني, والحسي, وقد كانت بعيدة عن الانفعال, وأثارت روح السخرية حين خلق الشعر عوالم متخيلة.

فنراه في هذه الأبيات يستخدم التضاد في: "حياة" و "جحيم", و"شرق" و"غرب", و"الشقاء" و"النعيم", فقدرة الشاعر على توظيف هذه المتضادّات بشكل مبدع وببراعة متقنه,

---

(1) الديوان,المجلد الرابع,ص69.

(2) الديوان,المجلد الثالث,ص333-334.

أضفت على النص قيمة جمالية خلابة تترسخ في ذهن المتلقي وتجذب انتباهه إلى موضوع القصيدة.

وكقوله أيضاً في قصيدته المعنونه " لبنان يا خمري وطيبي":

شـــكوى القريـــب إلـــى القريـــــــــــب أم الغريـــب إلـــى الغريـــب؟[1]

وأبدع الجواهري في التضاد وفي طريقة عرضه من خلال قصائده, وتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من التضاد, فالجواهري يمحور التضاد في أبياته لإيصال مشاعره وحالته النفسية إلى المتلقين.

ونموذج آخر على التضاد عند الجواهري:

كانـــت تَـــوَدُّ لـــو انَّ الليـــل لـــم يَطِـــرِ من وَكْرِهِ, ولو انَّ الصُّـبح لـم يَثُـر[2]

فالشاعر في هذا البيت وظف التضاد بين لفظتين هما " الليل" و " الصبح", وهما كلمتان متضادتان, وهنا دلالة على ما يشعر به الجواهري من تضاد في حياته الواقعية ولما لها من تأثير عليه.

وقوله:

ومـــا الحيـــاةُ ســـوى حســـناء فاركـــةٍ مخطوبـــةٍ مـــن أحبّـــاء وأعـــداء[3]

فالجواهري استخدم أسلوب التضاد في هذا البيت بين" أحباء" و " أعداء"، ليعبّر عن جَرْيِ كليهما وراء الحياة التي منحها صورة فتاة شابة حسناء.

---

(1) الديوان,المجلد الثالث,ص260.

(2) الديوان,المجلد الثالث,ص102.

(3) الديوان,المجلد الأول,ص228.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

1-لقد كانت معاناة الجواهري وبعده عن وطنه سبباً لبروز ظاهرة الحنين في شعره بشكل واضح.

2-لقد استطاع الجواهري أن يعبر عن معاناة شعبه من خلال تصويره للمعاناة الفردية التي يعيشها بعيداً عن وطنه, وبذلك وظف مشاعره الذاتية للتعبير عن الآلام التي يعاني منها الشعب العراقي.

3-لقد ظهرت صورة الوطن في شعر الجواهري ممزوجة بالحزن والألم والمعاناة ولعل ذلك انعكاس للواقع الذي كان يعيشه.

4- لقد تميزت لغة الجواهري في شعره الوطني بالمزاوجة بين القديم والحديث فالجواهري واحد من الشعراء الذين استطاعوا توظيف التراث العربي وإخراجه في ثوب جديد بعيداً عن التقليد والتغريب.

5- لقد كانت ثقافة الجواهري اللغوية والدينية حاضرة في شعره ممزوجة بمشاعره متجلية في عباراته وقوالبه، الفنية ومما يدل على ذلك كثرة التناص والاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والأمثال العربية والشعر القديم.

6- لقد تميز شعر الحنين لديه بعدد من الخصائص الفنية التي أعطته صبغة خاصة وجعلت من قصائده مصدراً للإلهام والتأثير ومن ذلك ظهور نزعة التمرد والميل إلى الطابع الدرامي ورسم الشخصيات وظهور مجموعة من المطولات الشعرية التي تعد ملمحاً إبداعياً.

ثانياً: التوصيات

1- توصي الباحثة بدراسة الجوانب القومية في شعر الجواهري بشكل يوضح مدى عناية الشاعر بقضايا الأمة العربية.

2- توصي الباحثة بتتبع قصائد الجواهري الوطنية ودراستها بشكل تحليلي ومقارنتها بقصائده الأخرى من الناحية الفنية والفكرية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

- الأبشيهي, شهاب الدين محمد بن أحمد (2008). المستطرف في كل فن مستظرف، طبعة جديدة منقحة بإشراف المكتب العالمي للبحوث، منشورات دار مكتبة الحياة.
- ابن الرومي, ديوان (2002). المؤلف علي بن العباس بن جريج ابن الرومي, تحقيق أحمد حسن بسج, دار الكتب العلمية.
- ابن سلام، محمد. (د.ت) طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني. السفر الأول.
- ابن سيدة,علي بن اسماعيل(1970),المحكم والمحيط الأعظم في اللغة, تحقيق: مراد كاظم, مطبعة مصطفى البابي الحلبي,القاهرة, الناشر مكتبة فخر الدين.
- ابن منظور, محمد. (1891).لسان العرب, تحقيق: محمد بك الحسيني, ط1, الكويت,دار النوادر.
- الإبياري, إبراهيم.(1962).الوطن في الأدب العربي,ط1, المكتبة الثقافية، دار القلم للطباعة والنشر، القاهرة.
- أسعد, يوسف ميخائيل.(1980). سيكولوجية الإبداع في الفن والادب, مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الأعرجي، محمد حسين. (2003). الجواهري دراسة ووثائق. دار المدى للنشر، دمشق.

- بدوي, عبده.(1984).الغربة المكانية في الشعر العربي, مجلة عالم الفكر.
- بسيوني, عبد الفتاح فيود. (2010), من بلاغة النظم القرآني, مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, القاهرة, ط1.
- بنيس,محمد.(1985).ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب, مقاربة بنيوية تكوينية, دار التنوير,بيروت,ط2.
- بيضون,حيدر توفيق.(1993).محمد مهدي الجواهري شاعر العراق الأكبر,دار الكتب العلمية, بيروت.
- الجاحظ, الحيوان, (1965). تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عدد المجلدات: 8، الطبعة الثانية.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1999). دلائل الإعجاز, شرح وتعليق وفهرسة محمد التنجي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط3.
- الجعيثن, عبدالله.(2010). التضمين والاقتباس(التناصّ) في الشعر الفصيح والشعبي(1–2), الإثنين13 ربيع الآخر 1431هـ–29مارس–العدد15253.
- الجواهري, خيال محمد مهدي. (2004), الجواهري .. مسيرة قرن, منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية, دمشق.
- الجواهري, محمد مهدي.(1999).مذكراتي, دار المنتظر,ط1,بيروت.
- الجواهري, محمد مهدي. (1988). ذكرياتي, ج1,ط1,دار الرافدين,دمشق.
- الجواهري,محمد مهدي.(1991).ذكرياتي,ج2,ط1,دار الرافدين,دمشق.
- الجواهري,محمد مهدي.(2011).الأعمال الشعرية الكاملة, دراسة وتقديم: عصام عبد الفتاح, القاهرة, الجزء الأول الثاني,ط1.

- الجواهري. (1982). الديوان, أربع مجلدات, دار العودة, بيروت, الطبعة الثالثة.
- الجواهري، خيال. (1999). الجواهري وسيمفونية الرحيل. منشورات وزارة الثقافة، دمشق. سوريا.
- الجواهري، محمد مهدي. (1998). الجواهري في العيون من أشعاره. دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق. ط4.
- حافظ,صبري(1996),أفق الخطاب النقدي,قراءات نظرية ودراسات تطبيقية,دار شرقيات,ط1.
- الحلبي, ابن الأثير.(2007).جوهر الكنز," تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة" تح محمد زغلول سلام, دار منشأة المعارف, الإسكندرية.
- خلف، عبد الرزاق كريم. (2007) . الغربة والحنين منفذا للشعر الوطني والقومي، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بغداد، العدد الواحد والخمسون. 177- 198.
- الخليلي, مها روحي إبراهيم.(2007).الحنين والغربة في الشعر الأندلسي" عصر سيادة غرناطة:635-897هجرية, رسالة ماجستير, جامعة النجاح الوطنية.
- الداية, محمد رضوان. (2000). في الأدب الأندلسي, دار الفكر, سورية.
- دخموش، فتيحة. (2005). تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي. رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم. جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر.
- الدسوقي, محمد (2008).البنية اللغوية في النص الشعري"درس تطبيقي في ضوء الأسلوب",ط1,كفر الشيخ, دارالعلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- ديوان ابن الرومي. (1424 هـ - 2003م)، تح: حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية بالقاهرة، الجزء الخامس، ص 182.

- راضي جعفر. (1999). الاغتراب في الشعر العراقي المعاصرة، مكتبة الأسد الوطنية، اتحاد الكتاب العرب.
- ربابعة, موسى سامح.(2000).التناص في نماذج من الشعر العربي, مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية,الأردن, ط1.
- رضا, محمد جواد. (2003). عراق الجواهري..جواهري العراق, دار الكنوز الأدبية, لبنان, الطبعة الأولى.
- رومية، وهب. (1996). شعرنا القديم والنقد الجديد. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الزهراني، مها عبد الله(1999) ، الاغتراب والحنين .. بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير منشورة في عام (2004)، الدمام.
- السّامرائي, إبراهيم, لغة الشعر بين جيلين, دار الثقافة, بيروت.
- السيوطي,جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ), الإتقان في علوم القرآن, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, الناشر مكتبة فخر الدين.
- شعبان ، عبد الحسين(2010). الجواهري جدل الشعر والحياة ، الطبعة الثالثة : دار الشؤون الثقافية في بغداد.
- شوارب، السعيد. (1985). أحمد رامي: سلسلة أعلام العرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ضيف، شوقي. (1979). دراسات في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار المعارف. ط7.

- طحطح، فاطمة. (1993). الغربة والحنين في الشعر الأندلسي. الدار البيضاء : منشورات كليه لآداب بالرباط مطبعة النجاح الجديدة.
- الطعان, هاشم,(1975).الجواهري والتراث, بحث في ضمن محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية, بغداد.
- عباس، إحسان. (1979). اتجاهات الشعر العربي المعاصر. منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة. الكويت.
- عبد البديع, لطفي.(1970).التركيب اللغوي للأدب,القاهرة.
- عتيق, عبد العزيز. (1976). الأدب العربي في الأندلس, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت.
- عثمان، عبد الفتاح. (1988). نظرية الشعر في النقد العربي القديم. بيروت: مكتبة الشباب.
- العقاد، عباس. (1981). شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي. القاهرة: دار نهضة مصر.
- العلوي، هادي وآخرون. (1969). الجواهري، دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين. النجف: مطبعة النعمان.
- غالب, علي ناصر(1995).لغة الشعر عند الجواهري, أطروحة دكتوراة, جامعة البصرة.
- الغبان، محمد جواد(2006). الجواهري فارس حلبة الأدب، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق.
- الغذامي, عبدالله. المشاكلة والاختلاف,ظ: عالي سرحان القرشي, تحولات النقد

وحركية النص.

- فلفل، محمد عبدو. (2013). في التشكيل اللغوي للشعر: مقاربات في النظرية والتطبيق. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة. دمشق.
- فهمي ,ماهر حسن,الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث.
- فهمي, ماهر حسن.(1970).الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث, ط1, جامعة الدول العربية, مصر.
- القاضي, النعمان عبد المتعال. (1965). شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام, الدار القومية للطباعة والنشر, القاهرة.
- القاضي,النعمان عبد المتعال.(1965). شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام,الدار القومية للطباعة والنشر,القاهرة.
- قباجة, محمد عبد المنعم محمد(2008), الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني(232–334هــ), رسالة ماجستير, جامعة الخليل.
- القزويني, الخطيب.(2003). الإيضاح في علوم البلاغة, الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية.
- قطوس, بسام.(2002). سيمياء العنوان, طبع بدعم وزارة الثقافة والإذاعة بمناسبة عمان عاصمة الثقافة العربية.
- قطوس, بسام.(2000). مقاربات نصية في الأدب الفلسطيني الحديث, دار الشروق, عمان.
- القيراوني, ابن رشيق.(1994).العمدة في نقد الشعر, تحقيق محمد قرقزان, دار المعرفة, بيروت, ط2.

- كريم، فوزي. (1969). الجواهري، دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين. النجف: مطبعة النعمان
- لحميداني,حميد.(1997). الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم (العصر الجاهلي), مطبعة النجاح الجديدة, البيضاء.
- مطلوب, أحمد. (1960), دراسات بلاغية ونقدية,دار الرشيد للنشر,منشورات وزارة الثقافة والاعلام, الجمهورية العراقية.
- مطلوب, أحمد. (1987), معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها, مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- مطلوب,أحمد.(1960).دراسات بلاغية ونقدية, دار الرشيد للنشر, منشورات الثقافة والاعلام, الجمهورية العراقية.
- مكي، الطاهر. (د.ت). الشعر العربي المعاصر، روائعه، ومدخل لقراءته. القاهرة: دار المعارف.
- الموسى,خليل.(1996).التناص والأجناسية في النص الشعري, مقال في مجلة الموقف الأدبي, ع205,السنة26, دمشق.
- ميا, فاخر صالح. (2006).الجواهري شاعر التجديد والثورة , سورية ,اللاذقية, دار المرساة.
- هياس, خليل شكري. (2012). ينابيع النص وجماليات التشكيل "قراءات في شعر بشرى البستاني", دار دجلة, الأردن.
- اليافي، نعيم. (1981). الشعر العربي الحديث. وزارة الثقافة، دمشق.

ثانياً: الدوريات:

- بدوي,عبده.(1984).الغربة المكانية في الشعر العربي,مجلة عالم الفكر , م15, ع1.
- خلف، جلال عبد الله. (2012). إيديولوجية الفكر اليساري فـــي أدب محمـــد مهـــدي الجواهري بين التصور والتطبيق. مجلة الأستاذ، العدد 201.
- الصعب,أحمد.(2013).الغربة في شعر الجواهري(دراسة تحليلية),مجلة اللغة العربية,العدد16.
- قحطان, رشيد صالح.(2004).الخاتمة في شعر المتنبي, مجلة المورد, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ع1.

مجلة المعرفة السورية.(1995).العدد 38, تشرين الأول.

- الهاشمي, بديعة خليل.(2014). بين البلاغة واللسانيات" جذور منهج الأسلوبية في البيان العربي", مجلة الرافد تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام, حكومة الشارقة.

ثالثاً: الإنترنت

- فاطمة, المحسن, محمد مهدي الجواهري آخر الكلاسيكيين وحامل لواء البلاغة وحافظ أختام العربية, مجلة نَزْوى, مقالة منشورة على الإنترنت.
- فراس دهدار وسهاد جادري، (2012). الوطنية في شعر محمّد مهدي الجواهري . http: www.diwanalarab.com
- معروف، يحيى(2009).محمد مهدي الجواهري و أغراضه الشعرية، مركز النور للدراسات . http://www.alnoor.se